شرح رسالة

سِمَاتُ المؤمنـينَ
في الفِتَنِ وتَقَلُّبِ الأحْوالِ

لمعالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

شرح أ. أناهيد السميري

اللقاء الأول

ألقي في ٢٧ شعبان ١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ).

http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله عز وجل، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا مُحمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن شاء الله يكون لقاؤنا اليوم وغدًا قراءة رسالة الشيخ صالح بعنوان (سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال)، وهذه الرسالة يخصّ بها الدعاة عامة، والذين هم على المنابر خاصة الذين يواجهون الناس.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

والحمد لله كثيرًا على ما أنعم علينا كثيرًا من العلم الذي لا ينقطع عن هذه الأمة.

والحمد لله على ما أنعم علينا بحفظ هذا الدين وبحفظ أسسه وأصوله.

وأشكره -جل وعلا- وأسأله -سبحانه- أن يمنحني وإياكم العلم النافع عند حُلول الشُّبهات، والبصرَ النافذ عند إقبال المشتبهات.

وهذان أمران في غاية الأهمية: "العلم عند حلول الشبهات والبصر النافذ عند إقبال المشتبهات"؛ لأن:

- الذي يُخرِج من الشبهات هو العلم.
- والذي يبيّن لك المشتبهات –التي تحتاج إلى تمييز– هو البصر النافذ.

فأحيانًا يكون عندك علم، لكن اشتبه عليك الأمر فلم تعرف هذه المسألة على أي قيد تقيّد وعلى أي حمل تُحمل، فما تستطيع أن تنتفع من علمك، على ذلك ما تستطيع أن تنتفع بعلمك إذا لم تأتِ هذه المشتبهات إنما نفع الله لك بالعلم أن يصبح عندك بصر نافذ، والمقصود به البصيرة، وهي من الكلمات المتبادلة.

وأشكر أصحاب الفضيلة والخطباء على حرصهم على ما يقضي به العلم الصحيح، والمنهج السليم، وما يقوله أهل السنة والجماعة بما فهموا واتفقوا عليه من نصوص الكتاب والسنة.

واللهَ أسألُ للجميع المزيدَ من العلم والفقه، وأن يثبتنا على ذلك، ولا سيما في مثل هذه الأحوال التي تتقلب.[1]*

---

[1] أصل هذا التأليف محاضرة ألقيت على الأئمة والخطباء والدعاة بحضور معالي الشيخ د . صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء؛ وذلك بمقر فرع الوزارة في الرياض . في مدينة الرياض في الأول من شهر شعبان عام ١٤٢٢ هـ .

* هوامش الرسالة منقولة من الأصل.

يعني من أكثر من ١٤ سنة، لكن هي نفسها التقلّبات من ٢٠ سنة ونحن نعيش فيها، هنا يخاطب الخطباء فسيبدأ بهذا التمهيد، و الشيخ صالح هو وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة.

تمهيد :

هذا التمهيد يقوم على ثلاثة محاور:

١- الرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه:

احرص على النظر الصائب الذي يوافق نظر السلف عند الاشتباه، وعند تغير الأحوال.

وَصَفَ عمرُ بنُ عبد العزيزِ - رحمه الله تعالى - الصحابةَ وساداتِ التابعين بما وصفهم به، ومنها قوله: "إنهم على علمٍ وَقَفُوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا".

قال: " على علمٍ وقفوا " فإنه يجب على المرء وبخاصة أهل العلم والتوجيه أن يقفوا على العلم.

وقوفهم يكون على العلم، فالأمر الأول أنه علينا أن نرجع للعلماء الراسخين في الفتن وفي تقلب الأحوال.

والعلم قسمان:

(١) علم لا يدركُهُ المرءُ، ويتعلَّمه قبل حلول الحَدَثِ، فيحيطُ به بما أعطاه الله - جل وعلا - وقد لا يحيطُ به.

(٢) علم لم يبحثه إلا وقتَ الحدث.

وهذا في الأغلب أنه لا يحيط بكلام أهل العلم فيه؛ لأنه لم يتعلمْهُ مِنْ قَبْل.

يعني قسم العلم من جهة التعلق بالأحداث:

- علم لايدركه المرء ويتعلمه قبل حلول الحدث، هذا في الغالب أنه يحيط بكثير من هذا العلم في هذا الأمر لماذا؟ لأنه هادئ ويستخدمه على أنه قاعدة، وليس عنده حالة من العجلة، فيأخذ الأمور ويقلبها في عقله ،ويقول هذا الحال يساوي هذا وهذا الحال يساوي هذا.
- علم آخر لا يتعلمه إلا وقت حصول الحدث، هذا في الأغلب أنه لا يحيط بكلام أهل العلم فيه؛ لأنه لم يتعلمه من قبل.

فَمَنْ عَلِمَ من نفسه حينئذٍ أنه إنما اطّلع على بحوث المسائلِ حين حلولِ الأحداثِ فيجب عليه أن لا يثِقَ بجودةِ نظرِه، عليه أن يطلبَ براءةَ الذمَّةِ بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه.

كأنه يشير إلى جماعة عندهم أدوات العلم ولما تقع المهمة والمسألة يذهبون فيبحثون، لكن مع الأزمة والأحداث يتأثرون بالأحداث في نظرهم للنصوص.

والأمر الثاني المهم أنه مع ضيق الزمن الذي يسبب لهم العجلة في النظر في النصوص يخرج منهم فتوى أو نظر في غير مكانه.

فمثلًا: يريدون أن يفتوا في شيء يتصل بالجهاد، ولم يكن لهم بحث سابق هادئ واضح لمسائل الجهاد في كتب أهل العلم، لا ننكر أن معهم أداوت العلم ويستطيعون أن يتعلموا، ويعرفون أين يبحثون من أجل أن يصلوا إلى الحكم، لكن وجود العلم ووجود أدوات البحث، ووجود الكتب، ووجود الطريق الذي يوصل الإنسان إلى العلم- هذا شأن لا يعني تجاهل الوقت والضغوط التي تكون على العبد لما يأتي الحدث، لما يأتي الحدث ويناقش مسألة غير لما يناقشها وهو هادئ بدون ضغط الأحداث وسرعة في الزمن، فهو مطلوب منه الآن يتكلم في هذا الشأن، والشأن عظيم!، هو عنده الأداوت لكن هذا لا يجعلنا نتجاهل المشاعر والعواطف تجاه المسائل بعينها، والوقت، هذه كلها تعتبر ضغوط على العلم. فلذلك يقول: "هذا في الأغلب أنه لا يحيط بكلام أهل العلم فيه"، بل ماذا يحصل؟ يميل إلى أحد الآراء بناء على الضغوط التي اجتمعت عليه، مع حملنا كلامهم على السلامة.

فالشيخ يقول: من براءة الذمة ماذا تفعل؟

فَمَنْ عَلِمَ من نفسه حينئذٍ أنه إنما اطّلع على بحوث المسائلِ حين حلولِ الأحداثِ، فيجب عليه أن لا يثقَ بجودةِ نظرهِ، عليه أن يطلبَ براءةَ الذمَّةِ بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه.

الراسخون: الذين بحثوا في المسائل من قبل.

وهذا ليس تقليلًا من قيمة الناس، بل توضيح للعوامل المؤثرة على العلم، لا ننكر أن هذا طالب علم قد استجمع أدوات الطلب وقد استجمع أن يكون مفتيًا، لكن لا بد أن نفهم هذا العامل المهم: أن علمًا يتعلمه قبل حلول الحدث غير علم يتعلمه بعد حدوث الحدث.

- ولذلك ننصح طلبة العلم عندما يثيرهم أحد في مسألة معينة ويتسرعون فيقولون رأيهم في المسألة أو يحصل نقاش ويجد نفسه قد ذكر رأيًا وغيره يخالفه -وهذا الرأي الذي ذكره مبني على فهوم له- ننصحه أن لا يذهب إلى البحث الآن ولا يتطلع لإظهار رأيه، بل يترك جمرة الهوى -التي قد تكون اشتعلت بسبب نقاش- إلى أن تنطفئ تمامًا، وبعد ذلك يبحث المسألة بحثًا موسعًا ويكتب لنفسه هو ماذا خرج به من البحث.

أما بحث تحت حدث قد يصارعه فيه الهوى فهذا من أفسد البحوث على طالب العلم؛ لأن فيه انتصارًا للنفس، أسارع للبحث من كلام أهل العلم وأرسله! هذا العلم لا يوثق بجودة نظره، وحُكم بالهوى فيه.

إذًا الرجوع الى أهل العلم الراسخين فيه عندما يحدث الاشتباه، ولا يثق طالب العلم بأن عنده أدوات النظر فينظر ويأخذ هو القرار، هذا من لفحات الشيطان أن يجعلك تنظر وتقول أنا عندي أدوات النظر فيتخلى عن كلام الراسخين، خصوصًا عندما يجتمع مع ذلك تهمة للراسخين! وأنهم يمكن أن يخفوا الحق لسبب ما أو ليس عندهم الشجاعة ليقولوا الحق، إذا اجتمع الأمران –تهمة للراسخين والثقة بما عندي من الأدوات– فغالبًا تزل القدم. عمر بن عبد العزيز وصف الصحابة والتابعين: "إنهم على علمٍ وَقَفُوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا"، يعني ما كفّوا جبنًا ولا تسييسًا، بل عن علم وبصر نافذ.

٢- المسجد في الإسلام للعبادة والعلم.

☜الأمر الأول في الفتن : نلجأ الى أهل العلم الراسخين.

☜الأمر الثاني : المسجد في الإسلام للعبادة والعلم، وليست ساحة للسياسة.

وقيسي عليه حلق العلم وحفظ القرآن، وكل أنواع الاجتماعات التي هي على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، سأذكر ما ذَكَر وفي آخر الأمر نرى الكيد واختيار الأزمنة المقدسة للمسلمين لإشغالهم عن الطاعات، انتهينا من الجمعة وتحولنا الآن إلى مطلع رمضان! هذا كله لازم يُفهم أنه أسلوب من أساليب التَسْييس في تضييع دين الخلق، فتتحول المساجد إلى هذا الاتجاه البعيد عن الدين، تتحول ممارسة الطاعة إلى هذا الاتجاه المشتت، ويتحول الاستعداد للدين إلى هذا الاتجاه المشكِّك أيضًا.

ولذلك أهل الفتن لديهم حرص أن يُسَيَّس الحج كما يفعل الروافض، فيأتون يهتفون في الحج بإسقاط أحد في بلدهم أو بنصرة شيء سياسي، الآن معلوم حتى عند أهل الديمقراطية أن إسقاط أحد أو إعلاءه لا يكون إلا في بلده، ممنوع أن يكون في بلد آخر، وهذا تعدٍّ على حرية البلاد وعلى قوانينها، فيأتون في موسم مثل موسم الحج ويهتفون بإسقاط رئيس دولة أو إسقاط مفهوم ويرعبون المسلمين بالصراخ، هذا نوع من أنواع التسييس الخطير، يشتتون الناس، يخيفوهم، في الشعائر (شعيرة الجمعة، شعيرة الحج، قُرب رمضان) يحصل هذا! ومنه المساجد نفسها، حتى أماكن الشعائر بسبب أهل الفتن يختلط على الناس ما هو المقصود !

المقصود من هذا المحور: أن المسجد له مهمة في الإسلام، وحلقات التحفيظ لها مهمة في العلم، ومواسم الطاعة لها مهمة في بناء إيمان الإنسان، فلا يغرّنّك الشيطان فتأتي في مواسم الطاعة أو في الأماكن التي جعلها الله في الطاعة أو في الأزمنة المقدسة، ويجتمع الزمان والمكان وتجد نفسك تفعل فعلًا غير المطلوب منك!، وتنسى هذه الأماكن لماذا وجدت، وهذا مما يشعل الفتن.

عندما يتكلم الناس في السوق عن الفتنة، وفي المسجد الذي ينتظر أن إمامه يخطب فيما يزيد الإيمان تجده يخطب في أمر ليس له علاقة بالإيمان ولا بزيادته! وانتصار لأحد أو حث على شيء، كله يتصل بأمر الدنيا أو بأمر الفتنة! مع أن الفتنة لها طرق يخرج بها الإنسان ويصبح صاحب بصيرة، والشيخ سيتكلم عن هذه الطرق إن شاء الله.

لماذا نبّه على المسجد؟ لأن المسجد الذي هو مكان العبادة يجب أن لا يُشغَل بغير العبادة، حلقة التحفيظ التي هي مكان ذكر الله لا يُذكر فيه غيره، أنت تدعو إلى الله، لا تعظم غير الله وغير رسوله، **عظم الله عظم رسوله عظم كتابه، أخبِر الناس كيف يعودون إلى الله**، وهذا كله يُسبب لنا كشف الفتنة، لكن الخوض في الفتنة في هذه الأماكن المقدسة والأزمنة المقدسة والأوضاع المقدسة لا يعطي الفتنة إلا زيادة اشتعال!

فلا بد أن نتنبه إلى أننا محتاجون إلى نزع الناس من الفتنة، ننزع منهم فتيلة الفتن، لا نشعلها ونعطيهم آراء ونغمز إلى معانٍ، فهذا كله لا يليق.

ومهمة المسجد في الإسلام ما يلي:

١) أنه مكانُ عبادةِ الله -جل وعلا-.

٢) أنه أعظمُ ما يجبُ أن يُحَقَّقَ فيه دينُ الله -جل وعلا- بكماله.

٣) تقامُ فيه الصلواتُ المفروضةُ.

٤) يكون فيه نشرُ الخيرِ، وتعليمُ الجاهلِ.

٥) يكون فيه الأمر بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر. على وَفْقِ ما تقتضيه الشريعةُ.

٦) تقام فيه الخطبُ النافعةُ.

والخطيب قائم فيها مقامَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولهذا تَعْظُمُ التَّبِعَةُ بِعِظَمِ المنصب والمسؤوليةِ. ومن أشدِّ من يُعَذَّبُ يوم القيامة -كما جاء في حديث البخاري- فيمن رآهم صلى الله عليه وسلم ليلة عُرِج به، الخطباءُ الذين لم يوافقوا أمْرَ الله سبحانه وتعالى، وأمْرَ رسوله، فرآهم يعَذبونَ بأنواعٍ من العذاب[1].

[1] أوردَ ابن حجر في "فتح الباري" في شرح (كتاب مناقب الأنصار – باب حديث الإسراء) (٧ / ٢٠٠) ط السلفية؛ حديث أبي هريرة عند الطبراني والبزار قال : مرَّ بقومٍ تقرض ألسنتهم وشفاهُهُم ، وكلما قُرِضتْ عادت . قال –القائل : جبريل عليه السلام– : هؤلاء خطباء الفتنة . ومر بثورٍ عظيم يخرج من ثقب صغير يريد أن يرجع فلا يستطيع . قال – القائل : جبريل عليه السلام – : هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم فيريد أن يردَها فلا يستطيع.

٧) الإمامُ يقومُ فيه مقامَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في أداء هذه المهمةِ؛ لأنَّ أصلَ الإمامةِ للنبي صلى الله عليه وسلم ولمَنْ أنابَهُ -عليه الصلاة والسلام- أو كَلَّفَهُ، والإمامةُ لولاةِ الأمورِ في ذلك عند كثرة المساجد.

فإذًا الواجبُ على الأئمة والخطباء أن يحققوا منهج السلف، وأن لا يُعَرِّضُوا أنفسَهم والمسلمينَ إلى ما فيه العقوبةُ.

العقوبة يقصد من الله. إذن الأمر الأول أنه علينا أن نرجع الى أهل العلم والراسخين. الأمر الثاني أن المسجد في الإسلام هو للعبادة وللعلم، نعلمهم عن الله يعبدون الله.

٣- الحذر من البغي والتأويل:

أُحذِّركم وأحذرُ جميعَ المسلمين من البغي والتأويل؛ لأنهما الأساسُ في الفرقةِ والفتنةِ والبغضاءِ بين أفرادِ الأمة الإسلامية.

ويجب السمعُ والطاعةُ لولي الأمر؛ لما في ذلك من سدٍّ للذرائع.

البغي والتأويل هذا أمر معلوم، يعني يبغي على الناس في التهم، ويؤوّل بعض أفعالهم وبعض ما صدر عنهم، ويؤوّل أحيانًا النصوص في حقهم، كل هذا في البغي والتأويل.

وبعد، فيا أيها الإخوان:

فإن للمؤمنين سماتٍ عليهم أن يتخَلَّقُوا بها، وهي:

السمة الأولى:

الابتعاد عن الغضب والاستعجال .

إن المرء إذا غضب في حال الأمن فإنه قد لا يُدرك الصواب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان)) [1] [2].

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على هذا الحديث:

إن هذا الحديث يشمل القضاء في المسائل العلمية، وفي المسائل العملية، فالغضب - ومثله الحال التي تقلق الذهن وينفعل معها المرء - لا ينبغي له بل هو منهي أن يقضي في المسائل العلمية وهو على هذا النَّحْوِ من الغضب، فإذا كان القاضي كذلك في مسألة بين متخاصمين فإن الكلام في المسائل العملية أبلغ، وإن الكلام في المسائل التي تهم الأمة حينئذٍ أبلغ.

[1] البخاري الأحكام (٦٧٣٩) ، مسلم الأقضية (١٧١٧) ، الترمذي الأحكام (١٣٣٤) ، النسائي آداب القضاة (٥٤٠٦) ، أبو داود الأقضية (٣٥٨٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٦) ، أحمد (٥/٣٧) .

[2] أخرجه " البخاري " في " صحيحه " في (كتاب الأحكام – باب هل يقضي القاضي أو يُفتي وهو غضبان) انظر فتح الباري (١٣ / ١٧٠) ط دار السلام . و " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب الأقضية – باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان) برقم ٧٦٢ ط دار السلام . و " أبو داود " في " سننه " في (كتاب القضاء – باب القاضي يقضي وهو غضبان) برقم ٥١٥ ط دار السلام . كلهم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه .

يعني هذا وهم في حال الأمن الغضبان حكمه وقضاؤه غير مقبول، فكيف لما يكون في حال الفتنة؟! لما يغضب في حال الفتنة سيكون حكمه وقضائه أشق! القاضي في المسائل بين متخاصمين أقصى حد يحصل فيه خلل يُظلم هذا ويؤخذ هذا مكان هذا، لكن لما يحكم في مسألة تهم الأمة ويخطئ ويكون حكمه مبني على غضبه ستهلك من ورائه أمّة.

ولهذا كان من سمة منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين فَمَنْ بعدهم من أئمة الإسلام أنهم لم يستعجلوا حين استعجل الناسُ فيما ليس لهم.

قال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ - رحمه تعالى - في وَصْفِ الصحابة والتابعين: "عليكم بآثّارهم فإنهم على علمٍ وَقَفوا، وببصرٍ نافذٍ كفُّوا".

هذه الصفة غاية في الأهمية: عدم العجلة، تندم على أنك ما تعجلت خير من أنك تندم على أنك فعلت ما لا ينبغي بغضب. وتبقى الثقة أن القوم لما توقفوا وكفوا إنما فعلوا هذا ببصر نافذ.

أحيانًا تأتي كلمات يتداولها الناس دون أن يشعروا، مثلًا في الأحداث الآن حولنا في سوريا –نسأل الله أن يرفع عن إخواننا ويكتب لهم أجورهم في الصبر ويبدل حالهم إلى خير حال– وهذه مسؤوليتنا أن ندعو لهم، لكن يأتي من يقول: نحن لا نعرف ما نهاية سكوتنا! وبماذا سيعاقبنا الله على سكوتنا على ما فعل بهم! هذا الكلام فيه ثلاثة مسالك :

المسلك الأول: يجب عليك أن لا تسكت. ماذا يجب عليك؟ عليك أن تدعو! والدعاء هو خير دليل على توحيدك، فإن توحيد العبد يظهر في مثل هذه المواقف؛ لأن شعور العبد أن النصرة لا تكون إلا حسية ولا تكون من الله هذا شعور يُضعف الإيمان! لا يشعر مثل هذا إلا ضعيف الإيمان، وإلا المؤمن حق الإيمان يعلم أن العدّة والعتاد لا شيء أمام نصر الله.

فمن كان بالله مؤمنًا اكتفى به وكيلا.

إذًا:

☜المسلك الأول في الكلمات التي يرددونها: صمتنا تجاه الأحداث، هذه النقطة الأولى وهي دليل على ضعف الإيمان.

☜المسلك الثاني: أن هذه الإشارات وهذه الكلمات تضعف معنويات المسلمين وتجعلهم يشعرون بالخذلان، فالأَولى منها حث المسلمين على نصرة الدين بالرجوع إلى الله، أولى من هذه الكلمات أن نرجع جميعًا إلى الله، نتوب جميعًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ (الرعد: ١١).

☜ المسلك الثالث المهم: أن بُعد هذه الكلمات فيه نوع من أنواع الطعن في العلماء والأئمة، وهذا الطعن وراءه فقدان الثقة التي تُسبب شتات المسلمين، وسنرى هل هذا هو رأي أم منهج شُرع في الإسلام؟

ننظر في مصاحفنا أواخر سورة يونس التي فيها قصة موسى عليه السلام، ونرى نحن بأي شيء مأمورون، وما معنى "على علم وقفوا وببصر نافذ كفّوا"؟

قصة موسى وهارون مع فرعون، نبدأ من آية ٨٣ القصة من أولها حوار بين موسى وفرعون وموقفهم أنهم ردوا الحق :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ٨٣ - ٨٧.

ندرس هذا المقطع من السورة من القصة ونرى بماذا أوصى الله عزّ وجلّ موسى.

موسى بماذا أوصى قومه؟ بماذا أمر الله عزّ وجلّ؟ نرى ومن ثَمّ سيُشكّل لنا منهجًا.

عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه قال: "عليك بآثارهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا"، نرى أول الأمر آمن هؤلاء الذرية من قوم موسى وحالهم أنهم على خوف من فرعون.

الله وصف فرعون أنه عالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين: معناها أنه كما تعلمون قد بلغ الحد في الطغيان، طغيان تاريخي، آمنوا على خوف.

هل يحق لهم الخوف؟ نعم، الله عزّ وجلّ علّل لهم الخوف ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الخوف الذي هم فيه معناه أن فيهم ضعف، قال موسى مؤتمرًا بأمر الله: ﴿ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ أنتم مؤمنين ماذا مطلوب منكم ؟ ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾، إذن هناك أمر يجب علينا القيام به، وهو التوكل على الله.

ما نأتي في الأحداث ونجد أننا ضعفنا في أعمال القلب وأعمال الجوارح، ولا نأتمر بها، هذا دليل على أن الإنسان لم يكن عنده من الإيمان والإسلام ما يجعله في الأزمة ينتفع؛ انظري لبداية الآية ونهايتها:

﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ إذا كنتم مؤمنين حقًا ﴿ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾ فأحيط التوكل بوصفين الإيمان والإسلام.

معناه إذا أتت المواقف ولم تكن شواهد على الإيمان والإسلام، فهذا دليل على ضعفه أو انتفائه؛ لأنه أحيط التوكل بهذين الأمرين.

هم الآن استعملوا أمرين:

١. فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا : قَبِلوا الأمر بالتوكل، عندما تقولون لنا توكلوا نتوكل؛ لأن عدم قبول التوكل دليل على ضعف الإيمان والإسلام.

٢. رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ : الأمر الثاني الذي عالجوا به موقفهم: الدعاء.

وهذا المنهج ليس منهج الجبناء، ليس منهج الهاربين من مواجهة الأعداء، هذا منهج من يعرف ما الحال الحقيقية التي يعيشها، تعامل الله بالتوكل عليه وتعامله بالدعاء، تأتمر بالأمر.

إذن بماذا دعا قوم موسى عليه السلام؟ ﴿ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٥ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ .

بماذا أوصى الله عزّ وجلّ نبيّه موسى صلى الله عليه وسلم؟

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾ : يعني لا ثورة ولا حتى الإذن بالخروج، الخروج يعني على ولي الأمر أو الخروج حتى من البلاد، انظري للأفعال التي أمروا بها: ﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ ﴾ .

تَبَوَّءَا : يعني اذهب خُذ لك مكانًا واجلس، لا تفكر في الخروج، ولا الهروب، ولا الثورة، ولا المواجهة، ولا أي شيء من هذا الكلام. ماذا تفعل؟

﴿ وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۗ ﴾ يعني في بيوتكم صلوا؛ لأنهم كانوا لا تقام صلاتهم إلا في البيع، ليس مثل المسلمين.

ثم في الأخير يقول لهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ يعني لا يسمح في هذا الوقت بتخذيل المسلمين، بل أمرهم بالتوكل، لا تفقدهم الثقة في علمائهم، بشر المؤمنين.

ولا أحد يقول لأحد: ماذا سيحصل بسبب سكوتنا! الذي يجب عليك الآن نشره: أمر الناس بالتوكل، أمر الناس بالدعاء، فهذه محن يختبر الله عز وجل بها حال العباد.

إذن المنهج : ثلاث وصايا:

- عبادة قلبية: التوكل.
- عبادات بدنية: الدعاء والصلاة.
- البشارة.

نرى في الأعراف آية ١٣٧ لكي ينتهي الأمر بوضوح، أن هذا المنهج ليس منهج المخذلين الخائفين الجبناء أو كما يقولون "تَسييس الفتوى"، إنما هؤلاء القوم "على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا".

أيضًا في سياق قصة موسى وفرعون، بعد ما انتهت القصة:

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٧.

مُلاحظ أن هذه الأفعال كلها لله: (أورثنا، باركنا، تمت كلمة ربك، دمرنا).

هم ماذا فعلوا؟ ﴿ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾ هذا الشاهد. إذن هذا ليس كلام الجبناء، هذا كلام من جعل القرآن هو قائده.

الابتعاد عن الغضب والاستعجال، لأن الغضب يجعل الناس يحكمون في المسائل على مجرد مشاعرهم، فيَبعُد أن يُوفَّقوا للصواب.

مثال: لو أن رجلًا قدم من بعيد فوجد في مكان فيه حريق والناس يصرخون –أسأل الله أن يحفظ المسلمين–، والدفاع المدني موجود في الأسفل ويقوم بأعمال قطع الكهرباء، ويقوم بأعمال لإطفاء الحريق لكن بأسلوب هادئ، الناس يصرخون يستفزونه! والدفاع المدني لازم يضع يده على الكهرباء من أجل أن ينطفئ هذا الحريق؛ لأنه لو ما انطفأت الكهرباء سيحدث ويحدث...إلى آخره من تفاصيل، هذا

جاء من بعيد سامع الصراخ ويرى أن هؤلاء لا يعملون شيئا! فيدخل ويقتحم على أنه ينقذ الناس، ماذا سيحدث؟ يزيد عدد الضحايا واحد ويصبح هو منهم، ولن يستفيدوا منه؛ لأنه ما هو فاهم الموضوع، ليس عنده خبره كيف يتصرف هنا! حماسه وغضبه هذا ما أتى علينا إلا بالوبال؛ لأنه لما يقتحم ماذا يصير؟ يأتي أحد يريد أن يمنعه، فأشغل هؤلاء العاملين عن عملهم! لما يثبط هؤلاء العاملين ويقول أنتم ما عندكم دين، أنتم ما عندكم حمية، وما يقوله في حرارة الموقف، ولازم نفعل كذا يأتي باقتراح من عنده وهو لا خبرة له ولا فهم، ما النتيجة؟ الهلاك له ولمن يريد انقاذه! وما استفدنا منه إلا أن ضيع وقتنا! وزاد الصراخ وزاد عدد الضحايا لو دخل في الأمر.

لو كنتِ في الموقف وكنتِ عاقلة ماذا ستقولين؟ هؤلاء يعرفون ما عليهم، فبأي قلب أنت تتهمهم وهم أتوا مسرعين ليقوموا بعملهم؟!، لكن لو حكيتِ لأحد هذا الموقف سيقول: صحيح أصلًا الدفاع المدني ما عندهم اهتمام! فالمسألة أصلًا مُقدم لها فقدان الثقة.

وهذا مشروع سنين يُبث: أن اِفصلوا الأمة عن علمائها الراسخين، أفقدوهم الثقة فيهم، حتى لما تأتي الأزمات لا يسمع صوتهم أبدًا!

هذه مسألة طويلة المدى، نحن الآن نعاني في كل شيء من هذه المسألة، أي مشروع في مصلحة المسلمين مباشرة ترى من البعض المردود العكسي: يرى أنه ليس له أثر وليس هذا الطريق هو الذي ينصر المسلمين، يقوم بالتخذيل !

فلذلك تستعجبين في آية يونس من هذه الأوامر {اجعلوا بيوتكم قبلة} إلى {وبشر المؤمنين}، تستعجبين أن الروح المعنوية شيء مهم! وهم في الأزمة بشِّرهم.

ولذلك لما تنظر إلى غزوة الخندق في أزمة الأزمة، كما سنقرأ في الأحزاب، في الأزمة يأتي نبأ كسرى وقيصر وما يكون، فهذا معناه أن معنويات المسلمين أمانة في أعناقنا، إذا انتشر داء في مكان أو تسلط على مكان أحد من نسل الفراعنة فلا نثبط حال الباقين.

اليوم نسمع دعوات إلى أننا لن نحرر القدس إلا لما تبدؤون بتحرير العاصمة الفلانية، وهذه العاصمة الفلانية من عواصم العالم الإسلامي المستقرة الهادئة التي لا اضطراب فيها! أول شيء حرروها من الطغاة لكي تحرروا القدس! إلى درجة أن كاتبًا من الكتاب –وهو كاتب إسلامي– كتب: إن الفوضى هي الحل! لماذا الفوضى هي الحل؟ يقول لأن مصالح الغرب والشرق ستحقق لو كان فيه استقرار، ولكي لا نعمل لمصالحهم نصبح في فوضى. حتى التفكير أصبح مقلوبًا!

المقصود بهذا الكلام أن نعلم أن من توقّف من الراسخين في العلم "على علم وقفوا، وببصر نافذ كفّوا"، وعندهم دليلهم الذي يجعلهم يتوقفون ولا يغضبون ولا يستعجلون، وليس جبنًا ولا تَسييسًا كما يظنون.

ولذلك لا تكن ممن يخذل المسلمين، اؤمرهم بالتوكل، زد تعلقهم بربهم، بشّر المؤمنين، أزمة اليوم فرج الغد، الله الذي يملك الرزق وليس هؤلاء حتى لو تسلطوا علينا بكذا وكذا، نحن جنتنا في صدرنا، نحن نسجد ندعو الله عزّ وجلّ يطعمنا ويسقينا.

لا أحد يكلمك عن الاقتصاد، لا أحد يكلمك عن موارد الماء، يخيفونا! الماء من السماء، الماء ليس بيد أهل الأرض، النبت هذا من عند الله لا من عند أهل الأرض.

هذه التخويفات المؤمن يعرف يعالجها، لكن ضعيف الإيمان ومن جعل المسجد وحلقة التحفيظ ومواطن العلم مواطن للسياسة والتسييس والكلام في شيء لا يخصه هو الذي في الفتن لا يجد علمًا يواجه به الفتن. نحن تنقصنا العبادات القلبية، ينقصنا أن نعرف لما تأتي الفتنة ماذا يجب علينا أن نفعل؟

الحزم هو أن لا تغضب، إن الله لا يعجل لعجلة أحد من عباده[1]. لا أحد يكلمك عن النظر أين هو؟! أنت كلمهم عن العبادة أين هي؟! اليوم وسائل الاتصال جعلت الإنسان لا يدخل في العبادة المطلوبة في الفتن، ((الْعِبَادَةُ فِى الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَىَّ))[2] ، فمن التقرب إلى الله أن تحذف كل الوسائل التي تتصل بها إلى العالم.

السمة الثانية:

التأنّي في الفتيا ودفعها إلى أهلها.

إن الصحابة رضي الله عنهم تدافعوا الفُتيا؛ لأنهم على علمٍ وقفوا، وتدافعوا الفتيا في مسائل يسيرة، فكيف إذا جاءت المسائل الكبيرة العظيمة؟ فهل يكون من منهجهم الإسراع في الفتيا، والإسراع في الكلام؟

يعني كانوا متأنين في المسائل اليسيرة فكيف بالمسائل العظيمة؟

الجواب: ليس هذا من شأنهم؛ لأنهم على علمٍ وقفوا وببصرٍ نافذ كفُّوا.

---

[1] "إن الله لا يعجل لعجلة أحد". ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه. الراوي : معمر بن برقان. المحدث : الهيثمي. المصدر : مجمع الزوائد. الصفحة أو الرقم: ١٠/٢٣٨. خلاصة حكم المحدث : إسناده منقطع وإسناده ثقات.

[2] "صحيح مسلم"كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فَضْلِ الْعِبَادَةِ فِى الْهَرْجِ، ٧٥٨٨).

البصرُ مراد به البصيرةُ التي قال - جل وعلا - فيها آمرًا نبيَّه: { قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّـهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّـهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[سورة يوسف: ١٠٨].
والبصيرةُ للقلب كالبصر للعين، ويُعاوَض بينهما في الاستعمال.
قال: "وببصر نافذ كفوا " فحين كفّوا عن الفتيا في زمن قتل عثمان رضي الله عنه وفي زمن الخلاف بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما-، وحين كفُّوا في الفتن لما حَصَلَ ما حصل؛ إنهم ببصرٍ نافذ كفُّوا.. هناك نفاذ حين كَفوا، وليس الكفُّ عجزًا أو هربًا، وإنما هو طلبٌ للسلامة حين يَلْقَى الناسُ ربَّهم -جل وعلا -.

يعني كانوا لما يُسألون عن الفتنة خصوصًا بعد انتهائها: من كان على صواب علي رضي الله عنه أم معاوية رضي الله عنه؟ فكانوا يرددون: إن هذه دماء سلّم الله منها أيدينا فلنسلّم منها ألسنتنا، فهم لما كفّوا كفّوا عن بصر نافذ وليس هربًا أو عجزًا !

وكان من أشهرهم ابن عمر رضي الله عنه، فإنه كان من أحق الناس علمًا وعملًا بالولاية، وكان من أبرز الصحابة في المنزلة، قُرشي له مكانته، ومع ذلك لم يكن يحرك في هذا الشأن ساكنًا؛ حفاظًا على جماعة المسلمين، واقرؤوا في سيرته ما تستعجبون من حرصه على الجماعة، فإنه لما أراد أهل المدينة الانقلاب على يزيد بن معاوية –الذي ولي الخلافة بعد وفاة معاوية رضي الله عنه، وكان معروفًا يزيد وشأنه–، فأراد جماعة من أهل المدينة أن ينقلبوا على يزيد، فاجتمع مع أهل بيته وناصحهم – بعد أن ناصح الناس ولم يقبلوا– وقال لهم: إنا بايعنا الرجل على بيعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ)) ، المعنى أنه مَنع أهل بيته[١] من أن يخرجوا أو ينقلبوا على يزيد حفاظًا على جماعة المسلمين.

فالمقصود أن القوم لما تركوا مثل هذا ما تركوه إلا عن بصر نافذ وعن علم، وليس عجزًا ولا هربًا. سيتكلم الآن عن خطر الفتيا؛ لأن هذه فتيا في الدماء، يَسأل: نخرج أو لا نخرج، نفعل أو لا نفعل، يتوقف في هذا الأمر ولا يُفتي.

وقال الله تعالى : { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلَالٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } [النحل: ١١٦].

[١] رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

هذه الآية تبيّن شدة خطر القول بأن هذا حلال وهذا حرام؛ لأن المرء لا يجزم بموافقة حكم الله جل وعلا في المسائل الاختلافية، أو في المسائل المجتهد فيها.

وقد كان منهج السلف في هذه المسائل هو الورع والاحتياط للدين، فلا يقولون: هذا حلال، إلا لما اتضح دليله من أدلة الشرع، ولا يقولون: هذا حرام، إلا إذا اتضح دليله.

وقال تعالى: { قُلْ آللَّـهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّـهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّـهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّـهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ } [يونس: ٥٩، ٦٠].

ما ظنهم إلا أن عقوبة ستنزل عليهم يوم القيامة.

قال العلماء في تفسير هذه الآية: كفى بهذه الآية زاجرة زجرًا بليغًا عن التجوّزُ فيما يُسأل من الأحكام، وكفى بها باعثة على وجوب الاحتياط في الأحكام، وأن لا يقول أحد في شيءٍ: هذا جائز، وهذا غير جائز إلا بعد إتقان وإيقان.

المسألة ليست باليسر الذي يتداوله الناس، لا يتكلم إلا بعد إتقان وإيقان.

ومن لم يوقن فليتق وليصمت، وإلا فهو مفترٍ على الله سبحانه وتعالى، وقوله تعالى : {قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّـهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّـهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّـهِ تَفْتَرُونَ} [يونس: ٥٩]**، وقوله من شديد الوعيد، وهذا يوجب الخوف من الدخول في الفتيا في كل ما يَسأل عنه الناس.**

لما يسأل الناس عن مسألة تتصل بالدماء تكون المسألة أعظم وأشد، كل ما كان فيه دماء وكل ما فيه حكم للمسلمين تكون فيه المسألة أعظم وأشد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ((من أفْتِيَ بغير علمٍ كان إِثْمُهُ على مَنْ أفْتَاهُ))(١)

وينبغي على المرء أن يربأ بنفسه أن يعرض دينه للخطر، وأن يعرض حسناته للذهاب بذنب يحدثه في الأمة.

إذن السمة الثانية بعد الغضب والاستعجال: التأني في الفتيا ودفعها الى أهلها. هذان مسألتان مرتبطتان ببعضهما، لا تستعجل، لا تجعل مشاعرك التي تحكمك، ولما تأتي المسألة أنه يجب أن تفعل وأن الجهاد الآن واجب والجهاد فرض عين ومثل هذه الكلمات هذه فتيا على مستوى الأمة! مثل هذا لا يُتعجل فيه، مثل هذا لا يكون الحماس هو الذي يدفع الناس إنما لابد من إتقان وإيقان.

السمة الثالثة:
الرفق والأناة والحلم.

(١) رواه " أبو داود " في (كتاب العلم – بَاب التوقي في الفُتْيا) رقم ٣٦٥٧ من حديث أبي هريرة ، وقريب منه في سنن " ابن ماجه " رقم ٥٣ .

إن من سمات الصحابة رضوان الله عليهم الأخذُ بما يُحِبُّ الله جل وعلا ويرضاه، ومن ذلك الرفقُ والأناةُ والحلمُ.

أنت الآن تريد أن تسير على نهج الصحابة، والصحابة يأخذون بما يحب الله ويرضاه، ومما يحب الله ويرضاه: الرفق والأناة والحلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء في الصحيحين: ((إن الله يُحِب الرفْقَ في الأمر كلهِ))[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئا، وأن تَعْتَصِمُوا بحبلِ جميعًا ولا تفرقوا، وأن تُناصِحوا من ولاهُ اللهُ أمرَكُمْ))[2].

قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلاَّ زانَهُ، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ))[3]

وقال صلوات الله وسلامه عليه: ((من يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخير))[4].

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشَجِّ عبد القيسِ: ((إنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ))[5]

هذا كله يدل على أن الحلم والأناة من مسالك أهل الإيمان، يعني لما تأتي الفتنة لا نستعجل ولا نغضب وتحركنا مشاعر، ولا نكون ممن يتعجل أيضًا في التجويز والتحليل والتحريم، ندفع هذه إلى أهلها، ونعامل الناس الذين يتعرضون للفتنة ويكون عندهم ضغوط نعاملهم بالرفق والأناة والحلم، ونحفظ من النصوص ما يساعدنا على إيصالهم هم أيضًا إلى بر الأمان.

يعني إن ابتليت أن تكون مرشدًا لأحد، ويأتيك أحد قلبه مشحون بالمشاعر التي شحنه بها الإعلام، الإعلام يتقاذفنا! جماعة تصور لنا المشهد بصورة عظيمة وجماعة تصورنا بخذلان المسلمين، يتقاذفوننا في مشاعرنا بحيث أن الإنسان في نهاية الأمر يطيش عقله! خصوصًا من فيه ديانة، لما يأتيك مثل هذا، اعلم أن هذا جزء من الفتنة التي نعيشها نفس الأمر الذي نحن مفتونون فيه، بالإضافة إلى الناس الذين تأثّروا وكأنهم يلحّون عليك بمشاعرهم أن اتجه معنا في هذا الطريق يجب أن تناصرنا ويجب أن تكون ممن يرفض هذه الحال ويُندِّد، وفي السياسات الجديدة تكتب خطاب اعتراض، وتجمع مليون اعتراض، اخرج معنا قف بجانبنا ... إلى آخره.

---

[1] أخرجه " البخاري " في " صحيحه في (كتاب الأدب - باب الرفق في الأمر) من حديث عائشة - رضي الله عنها .

[2] أخرجه " أحمد " في " مسنده " (١٤ / ٧٨) ، و " مالك في " الموطأ " في (كتاب السلام (٢ / ٩٩٠) . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[3] أخرجه " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب البر والصلة - باب فضل الرفق) برقم ٦٦٠٢ من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

[4] رواه " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب البر والصلة - باب فضل الرفق) برقم ٦٥٩٨ من حديث جرير رضي عنه .

[5] أخرجه " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب الإيمان - باب الإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين . .) برقم ١١٧ .

فكل هذا يحتاج نوع من الحلم والأناة لكي تمتص غضب هؤلاء، لا أن توافقهم بل تشعرهم أن الأمر ليس بهذه الطريقة، وأن الأمر يحتاج منك إلى فهم وإلى مراجعة على منهج السلف، وهذا لم يكن منهجهم، فأنت تستعمل مع نفس الفتنة الحلم والأناة، وتستعمل مع المفتونين الحلم والأناة.

أحيانًا تكون أنت سَلمت من الفتنة لكن لا يسلم الناس الذين حولك منها، فيكونون أحد أساليب الضغط. ولا تكن ممن يستفز الناس، يعني هم الآن ثائرون مع الفتنة، أنت عليك أن تردهم ردًا جميلًا، ليس ردًّا يُسبب لهم زيادة الغضب من المنهج ومن الدعوة وزيادة الغضب من الطريق الذي نسير عليه. نحن لا نريد أن نسترضيهم، لكن لا نريد أن نفتن الناس فوق فتنتهم.

فعلينا بالحلم والأناة ونحن نعالج نفس الفتنة، وعلينا بالحلم والأناة ونحن نعالج نفس المفتونين. بمعنى أننا في زمن الفتة نبذل جهودنا أن لا نتعرض للفتنة، ونسير الناس على منهج السلف خصوصًا في العبادات القلبية، بالتلميح دون التصريح، أصرّوا إلا أن يفهموا بوضوح ويسألونك: ماذا يجب علينا أن نفعل الآن ولماذا أنتم ساكتون وأنتم تحبون الله والإيمان وهؤلاء مسلمون يحصل لهم كذا وكذا، فأنت عليك في معالجة هؤلاء بالحكمة، والحلم، وإظهار النصوص من كتاب الله التي تدل على أن هذا هو الطريق السوي، في الأعراف وفي يونس ... بهذه الطريقة.

وعلى كل حال، من الحلم والأناة معالجة هذه الشؤون قبل أن تكون، ولذلك إذا فقدت الصف الذي معك فعليك بتربية جيل تكون هذه القواعد والتعاملات أصول موجودة في نفوسهم بحيث لا يتعدونها وقت الفتن.

السمة الرابعة

اجتماع الكلمة عند الفتن .

من سمة السلف لمن درس منهجهم في القرن الأول حين كَثُرَ الخلافُ، وكَثُرَتِ الفتنُ أنهم يأمرونَ بالاجتماع، وينهَوْنَ عن الافتراق.

وقد قَرَّرَ أهلُ العلم أن الاجتماع نوعان:

(١) الاجتماع في الدين.

(٢) والاجتماع على ولي الأمر.

والافتراق نوعان:

(١) افتراق في الدين.

(٢) وافتراق في الجماعة.

والله جل وعلا قال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣].

والنبيُّ صلى الله عليه وسلم حضَّ على الاجتماع والجماعة بقوله: ((سَتفترِقُ هذه الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقَةً كلُها في النار إلا واحدة، قالوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ قال: هي الجَمَاعةُ))[1].

قال أهلُ العلم: معنى الجماعة هنا ما يشمل الاجتماعَ في الدين، والاجتماعَ على مَنْ ولّاه اللهُ الأمرَ من المسلمين.

ونحن نعيد ونكرر: من (ولّاه) الله، الفعل منسوب إلى الله.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((الجماعةُ رحمة، والفُرْقَة عذاب))[2]

وهذا ظاهر بَيّن في أن منهج الأئمة الحرصُ على الجماعة.

حتى أنه لما ظهر القولُ بخلقِ القرآن، وحَصَلَ من الناس ما حَصَلَ من التسارع إلى نشر هذا القول، ودعا إليه ولي الأمرِ في ذلك الزمانِ، قال أحدُ طلاب الإمام أحمدَ - وهو إمامُ أهل السنة والجماعة - له: ألا تَرَى ما الناسُ فيه؟ ألا تقولُ قولًا يغير الله به ما فَعَلَ..؟ كأنه يشير إلى ما فَعَلَ ولاة الأمرِ، أو ما هو مشهورٌ.

فجعل الإمامُ أحمدُ - رحمه الله - ينهى عن ذلك، وينفضُ يَدَيْهِ شديدا، ويقول: " إيَّاكُمْ والدماءَ، إياكمْ والدماءَ".

وهذا من شديد فقهه، مسألة في الدين: قول بخَلق القرآن، نفي صفة من صفات الله، أمر في أصول العقيدة، ويأتي هذا الطالب المتحمس لشيخه، متحمس لمنهج أهل السنة والجماعة إلا أن حماس هؤلاء إذا لم يقابل بالحلم والأناة وترتيب الأفكار ومساعدتهم على الطريق المستقيم، إذا لم يقابل بذلك فهؤلاء سيفتنون الناس. ماذا كان موقف الأمام أحمد؟ قال: "إياكم والدماء، إياكم والدماء"! مع أن الأمر ما كان فيه إلا كلمة يقولها، لكنه يعلم أن هذه الكلمة لو قالها ستحدث الفرقة ومن ثمّ يُثارون.

وهذا فقه على الإنسان أن يكون شديد الملاحظة له، وهذا أمر يتصل بالعقيدة، يعني ليس أمر من العمليات لنقول تنازل عنه. يعني يأتي أحد يقول: أنت يا شيخ ألا تراهم يسمحون بالبنوك الربوية؟ ألا

---

[1] أخرجه " أبو داود " في " سننه " في (كتاب السنة – باب شرح السنة) ٦٥٠ ط دار السلام . من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .
و " ابن ماجه " في " سننه " في (كتاب الفتن – باب افتراق الأمم) ٥٧٤ ط دار السلام . من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه .

[2] قطعة من حديث أخرجه " أحمد " في" مسنده " (٣٠ / ٣٩٠) من حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – .

تراهم يسمحون بدخول الخمر لبلاد المسلمين؟ يَستفزّ! نعم نراهم يفعلون هذ الأمر لكن "إياكم والدماء إياكم والدماء"، الذي ستُصلحه سيأتي بخراب عظيم أعظم من المنكر الذي تتكلمون عنه!

وهذا الفقه لا يتكلم عنه إلا من يعرف الشريعة ويعرف منهج السلف: الراسخون في العلم. فهذا الفرق بين الشاب وبين الإمام أحمد، مع أنه في هذا سجن، وفي هذا عُذّب، لكن الحكمة تأتي على ألسنة هؤلاء الذين يعرفون ما هو الحق.

لأنه يعلم أن شدة الافتراق تُسَبِّبُ في النهاية الافتراقَ في الأبدان، ثم وقوع ما يُخْشَى منه من سفْكِ الدماء، أو منازعة في الأمر.

وكل هذه المنكرات التي يتكلمون عنها حلُّها هو: أن نبث في قلوب الناس الإيمان. إن تجارب حولنا تقول: إذا لم نغير أرضية الناس وإيمانهم وتقواهم وبذلنا جهودنا في ذلك، فمهما وضعنا عليهم أحد معه إيمان لا يستطيع أن يقلب الكفة عليهم، بل هم سيقلبون الكفة عليه! **البناء يأتي من أسفل إلى أعلى، لو تغير الناس في الأسفل يغيّر الله لك الناس في الأعلى.**

فدور المساجد ومدارس التحفيظ والدعاة: بذل الجهد لإصلاح القلوب، بذل الجهد لأن نعزم على الناس أن يخطّوا ويسيروا في منهج السلف، يجب أن نعرف دورنا.

فالمقصود أن معرفة الإنسان لدوره تساعد على بناء أمّة تسير في الطريق الصحيح، لكن تصوري أسرة فيها أم لا تعرف دورها أن تهتم بالنشء، وأب لا يعرف دوره أن يرعاهم، فلا تسأل عن خراب العائلة! نفس الكلام على الأمّة، مسجد لتعليم الناس العلم يجتمعون من أجل أن يحفظوا القرآن، ما دوري هنا غير تعليم القرآن؟ هذا دورك فلا تُسَيَّس المنابر، لا تُسيس مراكز الدعوة، لا تسيس المشاريع الدعوية أبدًا، ولا تستخدم في السياسة. هل هذا فصل الدين عن الحياة؟! لا، إنما هذه هي الحياة، وهذا طرد لمشتتات الدين، لازم نفهم هذا الأمر، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إياكم والفرقة"[1] .

ويتحتمُ على الأمة الإسلامية أن تَعِيَ تمامًا ما بينَهُ الكتابُ وكذلك السنةُ أنّ أهل الكتاب تفرّقوا واختلفوا، وضرب بعضُهم بعضًا، لا لنقصِ العلم عندهم، بل من البغي والتأويل.

إذًا نحن مأمورون بالجماعة ومنهيّون عن التفرق، والتفرق ليس لنقص العلم، التفرق يحصل بسبب البغي والتأويل.

[1] رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

قال الله جل وعلا: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} [الشورى: ١٤].

والبغي أساسه الانتصار للرأي، يعني لا يبغي الإنسان على أحد إلا إذا ركب هواه وانتصر لرأيه، يعتمد رأيًا يغضب له ويجعل الولاء والبراء عليه، ويحمل الناس على الولاء له ولرأيه، ثم يصبح المسلمون فِرَقًا وأحزابًا، وهذا متكرر في الحصول، يعتمد رأيه ويجمع الناس أنت معي أو ضدي! فيتحزبون هذا حزب فلان لأن أفكارهم مع فلان وهذا حزب فلان لأنهم يوافقون على أفكار فلان.

ولذلك قال العلماء في كتب العقائد: إن أعظم ما حصل به الافتراقُ والفتنُ والبغضاءُ في هذه الأمة من شيئين: البغي، والتأويل.

التأويل: تأويل النصوص بما يساند آراءهم.

فإذا حَصَلَ البغيُ: بأن زاد الناسُ على ما أذن به، أو حَصَلَ التأويل بغير مستند شرعي صحيح وقعتِ الفتنة. والعياذُ بالله تعالى.

سمّوا انقلابات العالم الإسلامي بالربيع العربي، لما سألوا الشيخ صالح الفوزان قال: ما رأينا ربيع، هذا ربيع للكفار!

والذي تابع الأحداث سيرى حقيقة أنه ربيع اليهود؛ لتمكنهم من أشياء ما كانوا متمكنين فيها في الزمن الماضي، ما أن تحصل الفتنة والفرقة إلا ويلعبون دورًا لم يكن لهم من قبل! وهذا حصل في بلاد المسلمين بالوثائق والشواهد، هم الآن موجودون وجودًا لم يكونوا موجودين فيه فيما سبق، هذا كله يجعلك تفهم أننا نخالف السنة فنُبتلى فنفترق ويغتنم ذلك العدو!

السمة الخامسة:

السمع والطاعة لولاة الأمر.

مما دلّتْ عليه النصوصُ وتظاهرتْ لزومُ السمع والطاعة لوليِّ الأمر المسلم، لأن السمع والطاعة أمر عظيمٌ، خَالَفَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية.

ما معنى خالف به النبي صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية؟ معناه أن من مسائل الجاهلية وصفاتهم أنهم لا يقبلون بأمير، لا يقبلون بقائد، لا يقبلون بولي أمر، كان ديدنهم عدم الرضا بالقيادة، مقتنعون بأنفسهم وآرائهم، ولا يقبلون القيادات، فهذا سبّب لهم الافتراق المعروف، وقتل بعضهم بعضًا، وغزو

بعضهم بعضًا، وكانت الحروب بينهم تبقى أربعين سنة على ناقة وعلى أمور يخجل الإنسان من الكلام عنها! لا بد أن تعرف أن هذا حال أهل الجاهلية، ونحن ممدوحون بمخالفة أهل الجاهلية.

السمع والطاعة تأباه النفس إذا كانت ضعيفة الإيمان، وتقبله إذا كانت قوية الإيمان، والمعنى أن المؤمن لا ينظر إلى شخص من يسمع ويطيع ولا يفكر في حاله، إنما يمتثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة.

هناك موردان للسمع والطاعة:

١- أن يكون ولي الأمر على هواي ويوافق ما أريد، أسمع وأطيع لأنه أمرني بشيء فيه مصلحة لي، فتكون الطاعة هنا هوى.

٢- أن لا أفكر في شخص من تأمّر علي، إنما أفكر في أني أطيع طاعة لله، فلا أفتش في حاله، ولا أفتش في ما يفعله، ولا أقبل أبدًا أن يأتي أحد فيهتك سِرَّه أو يكشف عورته أو يستفزّني لأطعن فيه.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "أول نفاق المرء طعنه على أمامه" ، فهذا نفاق من جهة أن[1] أهل الإيمان من لوازم إيمانهم الطاعة، وأهل الجاهلية من صفات جاهليتهم عدم قبول الطاعة، أنت لا تطيعه لشخصه ولا لفعله إنما طاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ومعلوم أنه إذا أمر بمعصية مُنِعت من أن تقوم بالمعصية، ومُنِعت من الخروج عليه، وإذا تركت المعصية فتَحِيّل على تركها، نفترض أنه أمر النساء بأن لا يحتجبن، هذه معصية وليس من حقه أن نأتمر بأمره، ماذا نفعل؟ نحتال بأن لا نخرج، نحتال بأن نخرج ليلًا، نحتجب بحيث أننا لا نُلاحَظ، لكن ليس من حقنا أن نخرج عليه، يعني اترك المعصية وإذا كانت تعارض مصالحك تحتال لكي لا تقع في المعصية، لكن ممنوع أن تخرج عليه وممنوع أن تثير الناس بسبب أمره بالمعصية.

وموقف الإمام أحمد واضح، لا تفعل المعصية، ولا تخرج عليه فعلًا ولا تخرج عليه قولًا، الخروج على ولي الأمر قولي وفعلي:

فالقولي : هذه الإثارات التي تسمعها، وهذه الكلمات التي يتدافعها الناس ويكتبونها، يظنون أنهم بذلك ينصرون المسلمين! وهم في الحقيقة يخذلونهم ويخالفون ولي أمرهم.

ما معنى الخروج السلمي؟ الخروج السلمي عصيان مدني، هذا نوع من أنواع العصيان، وهو يساوي الهياج وعدم الطاعة بلزوم كل شخص عمله، فإذا كان الخروج باللسان ممنوع فكيف بالخروج بالأبدان؟!

---

[1] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٩٥٩).

الخروج بالأبدان يعني أن تخرج ببدنك، حملت سلاحًا أو لم تحمل، ففي النهاية الفوضى تكفي! الحجارة التي يتراشقونها في الخروج السلمي ألا تعتبر سلاحًا؟!

نعود إلى السمة الخامسة وهي السمع والطاعة لولاة الأمر، قال:

مما دلّتْ عليه النصوصُ وتظاهرتْ لزومُ السمع والطاعة لوليّ الأمر المسلم، لأن السمع والطاعة أمر عظيمٌ، خَالَفَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية.
وقد ذكره إمام الدعوة الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهاب -رحمه الله- في "مسائل الجاهلية" في أوائل المسائل مع التوحيد.

يعني في أوائل المسائل الجاهلية ذكر الشيخ أن من مسائل الجاهلية وصفاتهم: الشرك، وأنهم لا يقبلون الجماعة.

وذكر التوحيد، والنهي عن الشرك فيما خالف به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية..
وذكرَ الاجتماعَ، وعدمَ الافتراقِ..
وذكر الطاعةَ.
وهذا أصل عظيم، نَقَلَ به النبي صلى الله عليه وسلم الأمةَ عمَّا كان عليه أهلُ الجاهليةِ، ولهذا قال:
((لا تَرْجِعُوا بعدِي كُفَّارا يَضْرِبُ بعضُكم رِقابَ بَعْض)) [1]

"كفارًا" هنا بمعنى عودة إلى الجاهلية وإن كان معناه الكفر الأصغر لكنه مقصود به العود إلى الجاهلية، وليس كل صفة في الجاهلية تجعل الإنسان حكمه الكفر، يعني حتى الخوارج نحن لا نحكم بكفرهم، بل نرى أنهم قد ارتكبوا معصية عظيمة في حق المسلم لكن مع ذلك لا يعتبرون كفارًا.

وإذا كانت النهاية في أمرٍ ما هو هذا فإنّ سدّ الذرائع المُوصِلَةِ له واجبٌ شرعًا، بل من أعظم الواجبات.
وينبغي على الأمة التسليمُ لوليّ الأمر في الوفاء بالعهد والميثاق فإذا أخذَ وليُّ الأمر بالعهد والميثاق بينه وبين غير المؤمنين من الكفار، أو المشركين؛ فإنه يتحتمُ إمضاؤها؛

يعني علينا طاعة ولي الأمر، ولو أنه اتفق مع مشركين أو كفار على معاهدة، ماذا يجب علينا؟ إمضاؤها.

لأن الله جل وعلا قال: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤].

---

[1] أخرجه " البخاري " في " صحيحه " في (كتاب العلم – باب الإنصات للعلماء) ، وفي (كتاب الديات – باب قول الله – تعالى – : وَمَنْ أَحْيَاهَا وفي أماكن أخرى انظر فتح الباري (١ / ٢٨٦ ، ٢١ / ٢٣٧) . ط دار السلام – من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما – .

ولكي يظهر الأمر أكثر:

وقال جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [الأنفال:٧٢].

قال الله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ عليكم أن تنصروهم، وأتى الاستثناء ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ الأنفال: ٧٢.

وهذا الاستثناء لا يخالف الولاءَ والبراءَ؛ لأن القرآن حقّ كله.
قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:
"إن استنصركم هؤلاء الأعرابُ الذين لم يهاجروا –إن استنصروكم وهم قوم– في قتالٍ دينيٍّ على عدوٍّ لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرُهم، لأنهم إخوانكم في الدين

الأصل المطلوب منكم أن تنصروهم.

إلا أن يستنصروكم على قومٍ من الكفار بينكم وبينهم ميثاق - أي: مهادنة إلى مدَّةٍ - فلا تخفِروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم ".

يعني أولًا هؤلاء مسلمون لكنهم لم يهاجروا يعني لم يكونوا في المدينة، إذًا الهجوم لم يكن في المدينة إنما في الأعراب جالسين في مكانهم، أتى على هؤلاء المسلمين كفار يحاربوهم فاستنصروا المسلمين الذين في البلاد عليكم إن تنصروهم إذا صال عليهم الكافر، إلا فيه استثناء، إلا إذا كان هذا الصائل عليهم أو هذا المحارب لهم بينكم وبينه عهد فلا يحق لكم أن تنصروا المؤمنين الذين هم معكم على الإيمان على كافر بينكم وبينه عهد، فهذا لا يخالف الولاء والبراء.

قال ابن كثير: "وهذا مرويّ عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما-".
وهذا ما فَعَلَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم في صلح الحُدَيْبِيةِ.
كان في الصلح أنّ مَنْ أتى النبي صلى الله عليه وسلم من مكةَ من المسلمين فإنه يُرجعُه إليهم، ومن ذَهَبَ من المسلمين من المدينة إلى مكةَ فإنَّ المشركين لا يَرُدُّونَهُ إلى المسلمين.
وأمضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا العهدَ والميثاقَ.
قال عمر رضي عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال:

بلى قال: فعلامَ نقبلُ الدَّنِيّة في ديننا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إنيِّ رسول، وأنا واثق بوعدِ الله))[1] عليه الصلاة والسلام.

سبحان الله يثق في الله، والله عزّ وجلّ ما خذله في متابعة السنة، ثم أن عمر رضي الله عنه بهذه الكلمة يعمل أعمالًا صالحة لعل الله يغفر له.

ومسائلُ الولاءِ والبراءِ عظيمة ومهمةّ، فإذا تكلم فيها أحد من العلماء فإنه يقصد بها ما يشمل عمومَ أحكامها؛ لأننا نستدل بالقرآن والسنة.

يعني لما تتكلم عن الولاء والبراء لا تجعل الولاء والبراء على هواك، خذ كل الأحكام المتصلة بالولاء والبراء.

وإن مسائلَ الولاءِ والبراءِ، والخوضَ في العهودِ والمكاتبات، وما يحصل من قضايا كبيرةٍ هي لأهلها، وليس لعامةِ الناس.
وليس من منهج الخطباء وأئمة الدعوة أن يتحدثوا في ذلك مع العامة.

ليس هذا الطريق الصحيح.

قال الإمامُ الشيخُ عبدُ اللطيفِ بن عبدِ الرحمنِ بنِ حسنِ بنِ محمدِ بن عبدِ الوهابِ: " وخضتم في مسائلَ من هذا الباب، كالكلام في الموالاة، والمعاداة، والمصالحة، والمكاتبات، وبذل الأموال والهدايا، ونحو ذلك، والحكمُ بغير ما أنزل الله، عند البَوادي ونحوهم من الجفاة.

ذهبوا يخطبون في الناس وقالوا لهم هذا الكلام !

لا يَتكَلَّمُ فيها إلا العلماءُ من ذوي الألباب، ومَنْ رُزِقَ الفهْمَ عن الله، وأوتي الحكمةَ وفصلَ الخطابِ " اهـ [2].

يعني مثل هذا لا تقوله للعوام، هذه أمور وشؤون يُناصح فيها العلماء وولاة الأمر.

قال : كما قال ـ رحمه الله ـ أيضًا بعدها:
" والكلامُ في هذا يتوقف على معرفة ما قدمناه، ومعرفةِ أصولٍ عامَّةٍ كلّيةٍ، لا يجوز الكلامُ في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها وأعرض عنها وعن تفاصيلها.

---

[1] قطعة بالمعنى من حديثٍ طويل أورده " البخاري " في " صحيحه " في (كتاب الشروط – باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط) و (كتاب المغازي) انظر فتح الباري (٥ / ٤٠٣ – ٤٠٨) و (٧ / ٤٥٣) ط دار السلام .

[2] مجموع الرسائل ص١١ .

فإن الإجمالَ والإطلاقَ وعدمَ العلم بمعرفة مواقعِ الخطابِ وتفاصيلِهِ يحصُلُ به من اللَّبْسِ والخطأِ وعدم الفقه عن الله ما يفسِدُ الأديانَ، ويُشتتُّ الأذهانَ، ويحول بينها وبين فهم القرآن.

قال ابن القيم في كافِيَته:

فعليك بالتفصيلِ والتبـــيينِ فالـ إطلاقُ والإجمالُ دون بيانِ

قد أفسدا هذا الوجودَ وخَبَّطا الـ أذهــان والآراءَ كلَّ زمــانِ

انتهى كلامه -رحمه تعالى-.

إنَّ فهمَ منهج أئمةِ الدعوة متكاملٌ، والأخذَ به أخذ بما قامتْ به هذه الدعوةُ وقامت به الدولةُ منذ الدولة السعودية الأولى من تحقيقٍ للإسلامِ بفهمٍ شامل للنصوص.

وهذا يُتركُ لأهلِ الشأن من ولاةِ الأمرِ، وأهل العلمِ؛ لأنّ هذا هو الحقُّ في هذه المسّائل.

والعامةُ لا يمكنهم فهمَ التفصيلِ والتبيينِ في مسائلَ أقلَّ من ذلك فكيفَ في هذه المسائلِ العظيمةِ؟!، ولهذا لم يكن أئمة الدعوةِ في خطبهم الموجودةِ يُفَصِّلُونَ الكلامَ في هذه المسائل، لأن ذلك - كما قال الشيخُ عبدُ اللطيف -: إنما هو لأهل العلم الذين يفتُونَ بموجبِ ما يعلمون لوليّ الأمر وللناس.

يعني المسائل التي فيها مكاتبات ومعاهدات مع الدول هذا شأن ولي الأمر والعلماء، المفروض أن ولي الأمر يشاور العلماء ومن ثَمّ يُفتوه، وليس من حق العامة أن يبين العلماء لهم تفاصيل هذا الأمر، فهذا لا يعنيهم، إنما يعنيهم أن يُسيسهم هذا على طريق الكتاب والسنة، هذا لو كنا نتكلم عن دولة تطبق الإسلام بحذافيره فلا يأتي يطعن على الدولة بأن لها علاقات مع الكفار، هذه المعاهدات والمكاتبات بين ولي الأمر والعلماء.

عندما يأتي أحد يقول لك في عهد فلان فعل هذا مع اليهود، وفي عهد علان فعل كذا، يريدون أن يطعنوا، كل هذه الأمور أنت ليس عندك تفاصيلها فلا تتكلم إلا في الشيء الذي يعنيك، الأمر على خطر، فرقة المسلمين خطر عظيم حتى لو وقعت أشياء من الأخطاء فإن ذِكر هذه الأخطاء ليست في صالح المسلمين أبدًا.

شرح رسالة

سِمَاتُ المؤمنـينَ في الفِتَنِ وتَقَلُّبِ الأحْوالِ

لمعالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

شرح أ. أناهيد السميري

اللقاء الثاني

ألقي في ٢٨ شعبان ١٤٣٤ هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا في رسالة سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال، وقد ذكر الشيخ صالح حفظه الله عشرًا من السمات، تدارسنا منها خمس سمات.

كانت السمة الأولى وهي المهمة جدًا:

الابتعاد عن الغضب والاستعجال.

وقد ورد ذمّ الغضب كثيرًا في القرآن وفي السُنة، وأن هذه جمرة الشيطان يلقيها في قلب العبد، وأيضًا ورد فيما يخصّ القضاء والحكم حديث واضح ذكره البخاري في كتاب الأحكام يوصف به منع القاضي من أن يقضي وهو غضبان، فالغضب جمرة في القلب تجعل الإنسان تعمى بصيرته، على بصرة غشاوة.

أما صفة الاستعجال فهي من الصفات التي تدلّ على الطيش، فإن العجول من الخلق طائش في الحكم، فحُكمه ليس فيه حِكمة، والله عزّ وجلّ لما يخبرنا في كتابه أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، غالب السور التي فيها خبر عن ستة أيام فيها خبر أن الله لا يعجل على عجلة عباده.

مثاله في سورة يونس، أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣]، ثم في نفس السياق ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [يونس:١١] فالمقصود أن العجلة هذه تدلّ على الطيش، الحِكمة لابد أن يكون فيها عدم العجلة، الحكيم هو الذي لا يعجل، ولهذا لما تقرأ في تفسير السعدي في ستة أيام يقول: "ليدل خلقه على التمهل ولحِكم أخرى"، هذه المهمة جدًا أنه لابد أن يعرف العباد أن أمر الله على مهل، فحتى في حكمك على الأشياء لابد أن يكون فيه عدم الاستعجال.

وهذه الصفة عدم العجلة كما اتفقنا تدلّ على الحكمة، وبها يسترشد الإنسان في حياته فلا يستعجل في الحكم على الخلق، ولا يستعجل في الحكم على الأحوال، ولا على نفسه، ولا على عمله،

ولا على الناس الذين هم حوله، ولا على ولاة الأمر، ولا على المواقف حتى تتبين؛ لأننا عشنا سويًا العجلة في الفرح، العجلة في الحزن، ورأينا فرحنا بشيء لا يستحق الفرح، حزنا والله عزّ وجلّ كشف عنا الشر، ففي النهاية العجلة ليست سمة المؤمنين بل سماتهم أنهم لا يغضبون ولا يتعجلون.

والشيخ لأنه في عجالة من أمره حيث ذكر هذه السمات في اجتماع كبير وقال هذه الكلمة وهي "سمات المؤمنين عند الفتن والمصائب"، بمعنى نأتى إلى كل أصل ونجمع عليه أدلة الابتعاد عن الغضب والاستعجال، فبالنسبة لنا نجمع عليه أدلة وننشرها، المؤمن لا يستعجل، المؤمن لا يغضب، الغضب المنهي عنه ليس في شؤونك الخاصة فقط إنما الغضب المنهي عنه في جميع الشؤون خصوصًا لو كان شأن الأمة، نحن دائمًا لما ننهى عن الغضب لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال لا تغضب ثلاثًا، كل تفكيرنا على مواقفنا التي تخصنا، وما نظن أن الغضب أيضًا يتحول إلى القواد، وهم لما يأتون ويعبرون يقولون هذا آثار غضب الشعب! لكن نقول: إن الغضب لا يأتي بخير، نحن نُهينا عن الغضب، أمرنا بحبس النفس وبضبطها.

كذلك صفة الاستعجال، نبحث عن الأدلة التي تَنهى عن الاستعجال وننشرها بين الناس، وأن العجلة هذه من الشيطان، وأن الشيطان يلقيها في قلب العبد، وأنه ما يأتي بخير سواء في شأن أنفسهم أو في شأن غيرهم.

إذن الفائدة الأولى: أن ننشر السمة الأولى، لكن ننشرها عن طريق الأدلة.

تأتي السمة الثانية من سمات المؤمنين وهي :

التأني في الفُتيا ودفعها الى أهلها.

ويخاطب بهذا التأني طلبة العلم خاصة؛ لأن كثير منهم يظنون أنفسهم عندما جمعوا أدوات العلم أنه يحق لهم أن يفتوا، ويأتيك واحد يَحبي في العلم يقول لك أنا رأيي! فنقول مثل هذه المسألة التي فيها دماء، مسألة فيها أحوال المسلمين ليس لأحد أن يتكلم فيها بل يدفعها إلى غيره.

ماذا سنفعل هنا في التأني في الفتيا؟ أيضًا نأتي بأدلة وينفعكم في ذلك "رسالة التعالم للشيخ بكر أبو زيد" رحمه الله، لأن في رسالة التعالم كلام كثير حول التسرع في الفُتيا والتعالم.

السمة الثالثة : هي الرفق والأناة والحلم.

وهذا الرفق والأناة والحلم قُصد به أن المؤمن الآن في وقت الأزمة في وقت الفتنة يكون رفيقًا بنفسه، ورفيقًا بالناس الذين حوله، والله أعلم الرفق بالنفس: عدم إرهاقها بالتفكير في شيء خارج عن إرداتها،

خارج عن قدرتها، فكن رفيقًا بنفسك واطلب لها النجاة، وطلب النجاة في الفتن أنك لا تتكلم بما لا يعنيك، الكلام فيما لا يعني هذا نوع من أنواع الظلم للنفس.

إذن أولًا الرفق بأنفسنا ثم الرفق بالناس حولنا، الناس الذين حولنا منهم من عنده حماس، منهم من عنده حالة من التشبث برأيه، عندهم مشاعر أنه صواب وأن غيره خطأ، مثل هؤلاء يحتاجون أن تكون بهم رفيقًا، لا تستعجل عليهم، الرفق بالناس حتى لو خالفوك الرأي، ومخالفة الرأي متوقع جدًا في مثل هذه الأحوال، فكن رفيقًا بهم، انصحهم، عظهم، هم سيهاجموك، سيقولون ما عندك إحساس، أنت منفصل عن العالم، قل لهم أنا عندي سُنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقول لكم النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال في مثل هذه الأحوال ورد في الحديث ((ادْخُلُوا بُيُوتَكُمْ ، وَأَخْمِلُوا ذِكْرَكُمْ)) [١]، لا تنذكر ولا تُذكر ولا أي شيء.

وفي كلام جميل للدكتور عبد الرزاق، نقل فيه في رسالة للشيخ عبد الرزاق البدر يتكلم في الفتن، ونقل عن أحد الصحابة تصويره للفتنة وحال الناس فيها، لما جاءت فتنة عثمان رضي الله عنه، تعرّب سعد بن أبي وقاص، تعرب يعني خرج إلى الأعراب، أخذ له شياه وأصبح يرعاهم بعيد عن المدينة والأحداث! وكان له كلام طويل في الفتنة والموقف فيها.

نقل الشيخ عبد الرزاق كلام عنه في وصف الفتنة والناس فيها، فقال: الفتنة مثل قوم خرجوا إلى الهجير –إلى صحراء رملية– سائرين في طريقهم، فثارت عليهم عاصفة، الآن لا يستطيعون أن يروا ولا يهتدون سبيلًا، فقوم اختاروا أن يسيروا تجاه اليمين فَضَّلوا، وقوم اختاروا أن يسيروا في اتجاه اليسار فَضَّلوا، وقوم جلسوا في مكانهم قالوا تنكشف فنرى فنسير، من الذي نَجَا؟ الذي بقي مكانه، هكذا تُحل المشكلة وأنه علينا أن نكون في حال من الأناة، لا تستعجل، عاصفة لا نرى ما وراءها، الآن لا ترى لكن سيأتي الحال الذي ترى فيه الحقيقة.

وعلى كل حال كان فيما يتداول بين أهل العلم "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"، أنت لكي تعرف مقدار علمك انظر لمقدار رفقك وتأنيك؛ رفقك بنفسك ورفقك بالناس، التأني في مواقفك وأمرك الناس أن يتأنوا. ويأتي بعدها الحلم، هذه كلها صفات متصلة ببعضها، الحلم في التعامل مع الناس، الآن في هذا الموقف ترى عقولهم لا تدرك أن السُنة عليك أن تخمد ذكرك، لا تدرك أن العبادة هي المطلوبة، عامل الناس بهدوء وبحلم، احفظ من النصوص، احفظ من أحوال

---

[١] المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، قال ابن حجر إسناده حسن.

البلاد، احفظ من التاريخ، بحيث أن هذه القواعد التي يجب أن يعامل الناس بها الفتنة تتسرب إلى نفوسهم رويدًا رويدًا، لا تعتمد أبدًا أن هؤلاء طلابك وقد درسوا وتعلموا وعرفوا منهج السنة لأنك أحيانًا تجد ردود فعل وكلمات لا تتصور من هؤلاء، فالفتنة تفتن الناس.

والمشكلة أحيانًا اتصالهم بالحدث، يعني مثلًا افترضي أن هناك طالبات من دولة (س) يدرسن معك منهج أهل السنة والجماعة، ودولة (س) صارت فيها الأحداث، وكانوا سابقًا ماشيات معكِ ويتكلمن ويتعلمن ويحفظن ويسمعن ويدرسن وكل شيء، لما صار الحدث في (س) أصبحن ينظرن للمسألة بصورة مختلفة، وبدأن يشككن في النصوص وأن المسألة ليست كذلك وأن هذا كان المفروض أن يُزال وكيف لما أزيل هذا الظلم عنا تأتون تقولون كان المفروض ألا يصير!، نحن نتكلم في بداية الأحداث، زال (س) أو (ص) أو (ع) فرحوا بزواله لكن هذه مخالفة للسنة!، كانت ردود فعلهم –بسبب نشوة الحدث– أنهم في غاية من السعادة، وسقطت النصوص!، لما خمدت هذه الفقاعة ابتدأت تظهر الحقائق، أنت الآن يلزمك أن تكون ذا حلم وأنت تعاملهم.

افترض أن الحدث الآن لا في (س) لكن في (ص)، (ص)حصل عليه حدث، طلاب يدرسون، الآن أصبحوا يتكلمون بكلام مخالف، بهدوء أكلمهم، ولا أتركهم لأنهم تركوا السنة.

هل تبيّن كيف يجب أن تكون مشاعرنا تجاه الموقف؟

الحلم والأناة هذا يستلزم منك أنك تقول أنا أقول لكم الحق حتى لو اتهمتوني، لأنهم سيتهموك طبعًا، أنت لا تعرف تنصر الأمة أو بارد أو سلبي لأنك عايش في الأمان ولا تشعر بالمسلمين ماذا حصل لهم وكل هذا الكلام، فأنت كن حليمًا رفيقًا ذا أناة في التعامل مع الفتنة نفسها وفي التعامل مع الناس المفتونين.

فتخيلي الآن تفتحين الجوال تجدين على الواتس آب ممكن يوصل للناس الذين لهم علاقات يوصل بالألف رسالة وكلها مشاعر وإثارات، تشعرين أنك في وسط بحر خضم كل الناس على المخالفة، لا بأس الألف هؤلاء يترسل لهم رسالة واحدة، وإن حصلت المهاجمة، هم على طول يهاجمونك أنك غير متصل بالعالم، لازم في وسط هذه الأحداث الحلم والأناة، تتوقع أن يردوا هكذا، وأنت تظلين تدافعين عن السنة، لا تدافعين عن رأي لنفسك أنت تدافعين عن السنة، والله عز وجل أراهم بعيونهم الحق لكن اسأل الله أن يبصرنا.

السمة الرابعة : اجتماع الكلمة عند الفتن.

يعني عند الفتن تحمد ذكرك وتجتمع مع أهل السنة في بذل الجهد في تعليم الناس، لابد أن تعرفوا أن زمن الفتنة هو زمن العلم، فكل الذين برزوا من العلماء بعد القرون المفضلة ما برزوا إلا في زمن فتنة من أشهرهم ابن تيمية، من أشهرهم الإمام أحمد، ما برزوا هؤلاء إلا في زمن فتنة، حتى في الأندلس العلماء الذين كان لهم سيط وظل سيطهم كان في وقت أزمات الأندلس، فزمن الفتنة هو زمن العلم، والسبب؟ أن الناس يكونوا بحاجة أكثر للعلم، والذي يكون عنده حلم ورفق وأناة وشفقة يعرف أن هؤلاء ما ينقذهم إلا أن يعظموا الله ويعظموا كتاب الله ويعظموا نبيهم.

فبدل ما تشتغلون عن دينكم اشتغلوا بدينكم، الأحداث ملخصها "اشتغلوا عن دينكم!"، خصوصًا وأنتم تلاحظون استغلالهم للمواسم لماذا هذا التاريخ عنوة من عند الجُمع إلى استقبال رمضان إلى كما ذكرنا أمس الحج يستخدمونه للثورات؟ لأن هي أصلًا القصة إشغال الناس عن دينهم، وإن كانت الخطة إشغال عن دينهم فالرد اشتغال الناس بدينهم ؛ تجمعهم على قال الله وقال رسوله الذي ما في خلاف، أسأل الله أن يعمر بلادنا وبلاد المسلمين بالأمن والإيمان، وهذا مسجدكم الذي يجتمع فيه الناس، آية من كتاب الله تشرحونها بين المغرب والعشاء، ما بين التراويح وخروج الناس، آية من كتاب الله عن الأنبياء عن المرسلين عن من صبر، يكون لكم مقاصد في اختيار الآيات، أنتم لا تربطهم إلا بكلام الله وكلام رسوله، وإذا دب إلى قلوبهم كلام الله وكلام رسوله أصبحوا ما هم مشتغلين بالدنيا، أصبحوا يرجون لقاء الله، ومن يرجو لقاء الله لابد أن يفلح، لكن قلة الديانة والتقوى هو زيت النار الذي يكون في الفتنة، التقوى لما تبث في نفوس الناس يتوقف الناس عن مثل هذا الهرج.

السمة الخامسة : السمع والطاعة لولاة الأمر.

والسمع والطاعة لولاة الأمر المقصود به تتميم الاجتماع، يعني اجتماع الكلمة عند الفتن بحيث أجمع الناس على القرآن –على الدين–، ثم النوع الثاني من الاجتماع اجتماع الناس على ولي أمرهم، لا أكون في زمن الفتنة مُحرض، ولا أكون في زمن الفتنة أزيد الطين بلة بأن أُشهر منكرات تحصل، لأن تكون فيه أمور مدفونة يفعلها ولي الأمر أقوم أبرزها! ولا مقاطع مثلًا تصوير في أحداث أن هذا فعل في تاريخ ماضي، الآن أيان كان من تولى ما أن يتولى بالقوة أو بالاختيار في كل الحالتين هو تولى، فالمفروض لا يكون فيه أي إثارة على من تولى، ولاه الله، ابتلانا به، الذي ولاه هو الله، الذي ينزع منه الملك هو الله، لكن المهم أن نكون نحن أتقياء.

أحيانًا في هذه المواقف يدخل في الأمر شرك، فالخوف المطلق من غير الله مصيبة! يعني يتصور الإنسان أن هذا يستطيع أن يفعل ما شاء وقتما شاء كيفما شاء! أصبحت له السلطة التامة! ليس لي ملجأ منه ولا حامي لي منه، هذا هو شرك الخوف! لكن إن كان عندك مشاعر أن هذا عبد ضعيف إن سلط علي سلط بحكمة الله، وأنا لي ملجأ أستعيذ بالله من شره وشر أمثاله وأسأل الله عزوجل أن يحفظني ويحفظ ذريتي وهكذا، في خطر في تعظيم شأن المتسلط، أن الناس يتحولون فيصبحون في حال من الخوف من غير الله، إذن ما المطلوب منا؟ السمع والطاعة لولاة الأمر، أجمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة، ثم ما أثيرهم على ولي الامر أبدًا.

لو وجدت امرأة في المسجد عندك كبيرة وتقرأ القرآن ومع الناس ومع الأحداث وتنصحيها أن ادعي للمسلمين، ادعي للشباب بالهداية، لا تستهيني، وقد قرأنا أمس في كتاب الله ما يشهد أن دورنا في هذه الفتنة هو الدعاء ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[1] فما تغيب عنا هذه المفاهيم الأساسية و العبادات التي من أجلها وُجدنا في الحياة.

الفتن جزء من أجزاء الحياة، إذا ما فُتنّا بولي الأمر سنفتن بأشخاص أمامنا، وإذا ما فُتنا بأشخاص أمامنا سنفتن بمال، نفتن بنقص ولد، فهذه إن كانت فتنة عامة ما دخلنا فيها لكن في النهاية أنت مختبر (ماذا تعبد الله فيها؟!) فلا تجعلوا المسألة تقتصر بأفعالنا، لازم نتفق ليست القضية أفعالنا إنما أفعال الله، وأنت مطلوب منك أن تعبد الله بما ينبغي.

قرأنا أمس ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾[2] معناه أنا أمتثل أمر، أنا لا أسير على هواي، استنصرني وهو مثلي مسلم أنصره لكن هو مسلم وأنا بيني وبين الذي استنصرني عليه عهد أتوقف عند العهد، إلى هذه الدرجة نحن نسير على ما أمرنا الله، ليس هين أنك تفعل هذا، أن يكون لك جار وتسمع صوته يناديك وأنت عاهدت الذي اعتدى عليه فتقول أنا لا أقدر أن أعينك لأن الله أمرني أن لا أعينك الآن، إنما عليك أنت أن تفعل أو أبحث عن غيري لم يتفق مع هذا!، المسألة ليست مجرد مشاعر ولا هي مسائل مطلقة،إنما كل شيء فيه قيد وفيه شرط حققه، المسألة ليست هينة، ولا يسير على الطريق إلا من عظم الله.

---

[1] يونس: ٨٤

[2] الأنفال: ٧٢

نأتي الآن الى السمة السادسة:

السمة السادسة:

توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين.

إنّ لأهل العلم في الكتاب والسنة منزلةً عظيمةً لا بدّ أن تُرعى قال الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّـهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة:١١].

فخصَّ أهل العلم عن سائر المؤمنين فقال:

{ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨]. لأنهم حين يتكلمون أو يُعلّمُونَ فإنهم ينطلقون من الخشية.

ونحن مأمورونَ بأن نقتدي بأهل العلم، وأن نرجعَ إليهم، والذمة تبرأ إذا استفتيتَ أهلَ الذكرِ فأفْتَوْكَ في ذلك بما يحقق مقاصدَ الشريعة.

السمة السادسة: توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين، وذكر في مكانتهم في الدين دليلين:

الدليل الأول: في المجادلة قوله تعالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾، الذين أوتوا العلم مرتفعون عن الذين آمنوا درجات، السبب؟ ما معهم من علم. إذا رفعهم درجة الواجب علينا احترامهم لهذه الدرجة طاعة لله، ولا يصلح حال الناس إلا إذا كان هناك من يقودهم في دينهم ومن يقودهم في دنياهم، كما ورد في كلام ابن مسعود "إذا تساووا فسدوا"، يعني إذا كان كلهم في علمهم سواء فسدوا، فتساووا في العلم المقصود أنه ما في أحد عندهم عالم، فالله يرفع الذين أوتوا العلم درجة على بقية الناس.

من رحمة الله أن يجعل أحدًا مرجعًا للناس في كل زمان وفي كل بلد، وأحيانًا يكون مرجع الناس كما في القرون الأولى "لا يفتى وعطاء في الحج"، "لا يفتى ومالك في المدينة"، فالله عزّ وجلّ يرفع بعض العلماء رفعة، عليك أن تزيل من قلبك الحسد وتزيل من قلبك الحقد وتزيل من قلبك مسائل الجاهلية لتسلّم لهؤلاء العلماء، لأن فيه أمور تمنع التسليم للعلماء من بين هذه الأمور الحسد، وهذا يقع بين الصغار وطلبة العلم أو طلبة العلم والعلماء الراسخين، فطالب العلم مثلا يكون سأل هذا الشيخ أو درس عنده ولم يستقم شأنه مع الشيخ أو رد عليه الشيخ ردًا جافيًا أو أحد جاء سأل الشيخ الكبير أن فلان

يقول كذا وكذا في درس من دروسه الشيخ يرد أن هذا كلام باطل، يأتي طالب العلم يحقد على الشيخ فينشر فيمن حوله رفض هذا الراسخ من العلم.

ففي أمراض كثيرة في النفس تجعل الناس يمتنعون عن أخذ كلام العلماء، وهناك من يروج لهذه الأحقاد، من الترويجات في الأحقاد: هذا سعودي هذا مصري، تأتين تدرسين في المملكة وتكلمين أحدًا فيقول لك أنت دارسة في السعودية عند المتشددين! فيصبح هذا حاجز بينهم وبين القبول، أو مثلًا يشهرون عن بلد أن أهلها متعصبون، يشهرون عن بلد أن أهلها متسيبون، وهكذا. وهذا طبعا لا تظنوه إلا من دعاوى المنافقين بل حاصل من الصف، وما يأتي الخروج إلا لما يُعانون من المنافقين بأمرين :

١. بقطع الصلة بين العلماء وبين الناس، وهم ولاة أمرهم من جهة دينهم.
٢. وقطع الصلة بين الأمراء والناس، يعني يصير الناس مشاعرهم تجاه ولاة أمرهم في الدنيا حقد لما يشاع عنهم، ويصير مشاعرهم تجاه ولاة أمرهم في الدين حقد، نزع للثقة.

إذًا في الفتنة علينا توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين، ولا تأتي أنت طالب علم وتخرج فتوى لأحد الراسخين في العلم المعروفين برسوخهم وبعدهم عن السياسة وبعدهم عن هذا الخلط الذي تسمعه، وتأتي منه فتوى على خلاف هواك فتطعن فيه، لازم ننشر بين الناس احترام العلماء، نفترض أن هذا العالم وقع في خطأ وخصوصًا في مسألة تتصل بهذه الأحداث، نحن الآن سنترك العالم الذي أخطأ ونذهب إلى من نراه راسخًا في العلم واقترب من السنة وعنده أدلته، الناس لازالوا يسألونك فلان يقول كذا، أنت عليك في هذا الموقف أن تقول الأقرب للصواب الأظهر في الأدلة الموافق لسنة النبي صلى الله عليه وسلم قول فلان، دون الطعن فيمن أخطأ؛ لأن الطعن فيمن أخطأ هذا يعكس نفسية غير سوية.

إذن من سمات المؤمن توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين، وعرفنا أن الله عزّ وجلّ رفعهم درجة، وأن الله عزّ وجلّ خصّ أهل العلم عن سائر الناس المؤمنين أن فيهم الخشية، ونحن أمرنا بأن نقتضي بأهل العلم بأن نرجع إليهم، وذمتنا تبرأ إذا استفتيناهم وأفتونا بشيء حتى لو كان فتواهم خطأ، فالعلماء يتحملون شأنًا عظيمًا، يكفيهم تحمّل الشأن هذا فلا تفقد فيهم الثقة، لكن عليك أن تعرف من هم العلماء وعليك أن تعرف الراسخين، من أجل أن معرفة العلماء الراسخين تجعلك تميز بين علماء الفتنة وبين العلماء الربانين.

فليس من الدين الطعنُ في أهل العلم، وليس من الدين الانتقاصُ من أقدارهم، بل ذلك من عمل الجاهلية.

الطعن في أهل العلم ليس من الدين ولا الانتقاص من قدر العلماء من عمل الدين إنما هذا من عمل الجاهلية.

والمعنى أن الجاهلية ترفض أن يسيسهم أحد لا في دين ولا في دنيا، إذا خرج عليهم أحد يسيسهم في الدين أو في الدنيا وإذا خرج عليهم أحد يسبهم في الدين أو في الدنيا، تعجبوا منه ورفضوه وحاربوه لما في نفوسهم من جاهلية.

حتى الكلام عن أهل البدع من قِبل أهل السنة لا يكون إلا لحاجة، الطعن في العلماء وطلبة العلم ليس من الدين، ثم أن البدعة تقدّر بقدرها، نحن قرأنا كلام الشيخ السعدي كلام جميل ضابط وضح لنا أن المسألة ليست كما يتصورون الناس، وضع شرطين: قال الشرك والبدعة، والبدعة التي يقصد بها المكفرة أو المفسقة فسقًا أكبرًا، أدنى من ذلك لو حصل فيه خلاف ليس من حقي أفتي الناس، عندي رأي خطأ هو عنده رأي صواب، أنا نظرت للمسألة من عندي ما رأيت الدليل وقررت شيء ليس صحيحًا، هو نظر للدين وقرر شيئًا صحيحًا، لو حطّأني، فهذا واجب عليه يقول هذا الرأي خطأ، أما يتهجّم علي، فلا يحق له، بيان الخطأ واجب، الهجوم على المخطئ إثم.

من ديننا الرفق والحلم والأناة مع من هو قريب أو يخالفك، أما الروافض من دينهم أن يفسّقوا من حولهم.

علاقتي به كإنسان أحترمه، ليس له علاقة برأي قاله وأنا أخالفه فيه، أستطيع أن أقول أن هذا خطأ بدون أن أتعدى عليه كشخص.

المسألة واضحة يسيرة الحمدلله، إلا أني لازلت أقول لكم في أحيان كثيرة في مسألة الاجتماع في رسالة الشيخ السعدي أن المسألة متصلة أحيانًا بالأمور الشخصية، يكون هو مر بتجربة شخصية مع أحد وفيها إفرازات ومطلوب مني أني أتحمل إفرازاته.

وكما قرأنا في رسالة الشيخ أن تضليل الغير هذا لا يكون إلا للأنبياء، يعني من خالف الأنبياء فقط هو الضال، أما أنا عندي رأي وأنت عندك رأي في مسائل هذا ليس له علاقة، بدعة مكفرة أو مفسقة انتهى الأمر.

وقد قال أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية، وشارح الطحاوية، وجماعةً: لم يكن الصحابةُ يريدون القتالَ، وإنما وجدوا أنفسهم يتقاتلون بسعيِ الخوارجِ فيما بين الأطراف.
وعلى الأئمة والخطباء وكلِّ طلاب العلم أن يأخذوا العبرةَ من قصص السابقين، وأن يقرؤوا التاريخ بعناية تامة.

لماذا أتى بالكلام عن الصحابة؟ يعني هو قبل قال: فليس من الدين الطعن في أهل العلم، وأهل العلم رؤوسهم وأعظمهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فليس من الدين الطعن فيهم لكن وقع القتال بينهم؟ كما في شرح الشيخ ابن تيمية في أهل السنة والجماعة الصحابة لم يريدوا القتال إنما وجدوا نفسهم يتقاتلون بحيلة وفرية من الخوارج كما هو معلوم، فعلى الأئمة والخطباء أن يأخذوا العبرة من قصص السابقين ويعرفوا أن هناك أمورًا ينجر إليها الفضلاء يتهمون بها وهم منها بريئون.

قال الله جل وعلا في الحث على الاعتبار:
{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف: ١١١].
يَعني: في قصصِ الأنبياء السالفين. وتاريخُ الأممِ الخالية فيه عبرة.
ومن أعظمِ العبرِ أن يُنظرَ في كيفية حصول القتال بين الصحابة -رضوان الله عليهم-.
كيف حدثت الفتنة وما مبعثُها؟
- قَتْلُ عثمان رضي عنه كان بسبب النقمةِ عليه في أمور المال، والولاية التي ولاّها. وقد ثار بسببها الخوارج فحصل ما حصلَ.

يعني الولايات التي ولاها عثمان رضي الله فهم أثاروا عليه بسبب أمور تتصل بالمال والولايات، وقد صار بسببها الخوارج فحصل ما حصل.

وإنما فعلوا ذلك بالتأويل، ولم يكونوا يكرهون الدينَ، ولكنهم تأوَّلوا، على خلاف منهج الصحابة.

يعني المقصود أن هؤلاء ما اعتبروا كلام أهل العلم الخوارج وكان بينهم الصحابة متوافرين، علي رضي الله عنه وكان في ابن عباس وابن مسعود وابن عمر كان كلهم متوافرين، تركوا هؤلاء كلهم وأصبح عقلهم على ما يقولون هم، تأولوا برغم أنهم لم يكونوا يكرهون الدين، تأولوا تأويلًا أفسدهم.

والذي حَصَلَ بين عليّ ومعاويةَ -رضي الله عنهما- من القتال لم يكن يريدانه.
ودخلت عائشةُ -رضي الله عنها- في ذلك، ولم ترد إلا الصلحَّ.

لماذا يضرب هذه الأمثلة كلها؟ كأنه يقول لا تسيء الظنّ بالعلماء، قد يدخلون في أمور لها ملابسات الله بها عليم، فلا تتعجّل في الحكم على أهل العلم، يعني يجد الإنسان نفسه أحيانًا في مواقف لم يكن مختارًا أن يكون فيها، يأتي مثلًا عالم من العلماء ويُدعى إلى شيء والناس يرونه منكرًا، وهو لا يعلم بُعد هذه الدعوة، مثلًا يدعونه إلى حفل زفاف فيه منكرات لم يعرف أن هؤلاء الناس عندهم منكرات، فدخل ووجد عندهم منكرات فدخل سلم على أهله وخرج، فالناس مباشرة سيتهمونه!

كان أحد طلبة العلم يقول مثالًا: لو خرج شيخ وأخذ يتامى إلى أحد الأماكن في النزهة، وطلع ما يسمى بـ(التلفريك)، ثم طاح التلفريك ومات، ماذا سيقال عنه؟ سيقولون أنَّ فلانًا مات في حديقة ملهى، سقط من مركب كذا وكذا ومات!

المقصود بالمثل التعجّل في التهمة، وهو أمر موجود، وليس من حقّ أحد أن يتعدّى ظاهر الأمور إلى بواطن النيات، يعني لا نتكلم حتى على ظواهر الأمور إنما أيضًا بواطن النيات! سوء الظن!.

إذن علينا أن نحترم العلماء ولا نتعدّى عليهم، وإذا حصل خطأ من العلماء فهذا لا يسقطهم، اقرؤوا التاريخ، يتأولون، يخطئون، وأحيانًا لا يريدون الفتنة إنما دخلوا فيها بصورة لا يقصدونها، إذا كان علي ومعاوية وعائشة دخلوا في هذا وهم الأفاضل فما الرأي فيمن بعدهم؟!

السمة السابعة:

الاعتبار والعظة بتاريخ الأمم السابقة.

مَن قرأ كتب التاريخ وَجَدَ أن الفتنَ إذا ظهرت، فأول ما يلجأ إليه الناسُ الذين اشتبهتْ عليهم الأمورُ، هو أن يطعنوا في أهلِ العلمِ، وسارعوا في ذلك، وهذا ما لا يحمدُ.

الذي يقرأ التاريخ يعرف أن المسارعة في الطعن في العلماء هذا أمر قد صاروا عليه فيما سبق وهذا أمر حصل مع الخوارج.

وهذا ما حَصَلَ من الخوارج مع علماء الصحابة.

وهذا ما حَصَلَ من أهل البغي لما استُبيحتِ المدينةُ المنورة، وضُرِبَتْ مكةُ المكرمةُ بالمنجنيق.. إلى غير ذلك مما حَصَلَ في أزمنة كثيرة.

هذا في عهد عبدالله بن الزبير والأحداث التي كان فيها نزاع.

التقرير الأول واضح، أنت عليك أن تقرأ التاريخ لترى سمت الناس هؤلاء، أول ما تحصل فتنة تجد أن هناك صفًّا كبيرًا من المنافقين دوره أن يطعن في أهل العلم! وستأتيني الآن معلومة أخرى غير المعلومة هذه.

وقد طفحتْ كُتبُ الجرحِ والتعديلِ في مَنْ يرى السيفَ في الأمة. وهذا ظاهرٌ بيِّنٌ، وأن الذي يرى السيفَ في الأمة يكون من وسيلته أن يطعنَ في مَنْ يرجِعُ إليه المسلمونَ كيلا يرجعوا إليه.

الذي يرى السيف في الأمة يرى الدم ويرى قتال أهل القبلة ماذا يفعل؟ يطعن في العلماء، فأنت ترى في كتب الجرح والتعديل من يرى السيف في الأمة تراها طافحة بطعن هؤلاء على العلماء من أجل أن لا يرجع.

ولا يلزم أنّ كل مَنْ طعن فإنه يرى السيف، ولكن يُحذر ممن رأى السيف طعن، ولا يلزم أنه مَنْ طَعَنَ فإنه يرى السيف، لأنه قد يطعنُ لتأويلٍ، وقد يطعنُ لنقص في العلم، ونحو ذلك.

يرى السيف : يعني من الخوارج، والخوارج مبدؤهم التكفير، فيرى قتل كل من يكفّره .

يعني يحصل طعن في العلماء بسبب أنه يرى السيف، ويحصل طعن بسبب أنه يتأول، ويحصل طعن لأنه عنده جهل ناقص، فالطعن له شؤون ليس كل شؤونه هو أن يرى السيف.

مثال: اتهموا عكرمة مولى ابن عباس أنه يرى السيف في المسلمين، والقول الراجح أنه لا يرى السيف –والله أعلم–، فهذا الذى اتهم بهذه التهمة العلماء يجرحونه، يرونه ليس أهلًا؛ لأنه من شأنه أن يطعن في العلماء، فهو ليس مقبول، كما في الموطأ موطأ الإمام مالك، في أول الموطأ كان يقول: "عن رجل عن ابن عباس"، في آخر الموطأ يقول: "عن عكرمة عن ابن عباس"، السبب أنه استقرّ له في نهاية الأمر أن عكرمة لا يرى السيف، فالذي يرى السيف يجرحونه مباشرة ولا يقبلونه. لماذا؟! لأن الذي يرى السيف يطعن في العلماء، يكفّر الحاكم، والذي يتعامل معه كافر، ومن رضي بالكفر فهو كافر، ومن يشترك في مؤسسات الكافر فهو كافر! ما بقي أحد!!

التكفير شيء خطير فوق المتصور، يستبيح كل شيء، وهو من العلوم التي يجب تداولها في زمن الفتن، (لا يجوز التكفير، التكفير له ضوابط، التكفير يجرّ المسلمين إلى الدماء..)، وهناك رسائل جميلة في التكفير، من أحسنها ما كتبه الشيخ الفوزان في ضوابط التكفير، تصلح في مواطن النشر.

السمة الثامنة:
عدم الركون إلى الإعلام المغرض.

الإعلام الذي وصفه المغرض يغرض بين الناس.

أما الأمر الذي يتعلق بالأحداث المعاصرةِ فإن الجميع يتابعها

قال لك الأول اتّعظ بتاريخ الأمم السابقة، الآن ماذا سنفعل فيما نحن فيه؟

والذي نخشاه أن نأنسَ بما نسمعُ، ويكون مصدرُ هذا الإعلامِ أصحابَ اللوبي العالمي الصهيوني.

يعني الآن الخطر الذي نخافه أن نصبح مثل المسحورين! اللوبي العالمي بإمكانياته الهائلة يوصف الأحداث، ويعطيك أحداث وأنت تصبح متسمم بأفكاره، تأكلها غصب عنك!.

واللوبي تعبير أجنبي، المقصود به: جماعات الضغط اليهودية في الدول التي يعبرون عنها أنها عظمى، وآثار الضغط في هذه الدول العظمى وإفرازاتها تكون على العالم الإسلامي، هذه معترف فيها في العالم، تملك مال وتملك سلاح، ودولة في داخل دولة، ممكن أن تكون الوجه الآخر للماسونية، المشكلة أنه معترف بها، معترف أن هذا اللوبي الصهيوني.

ومعلوم أن هذا لا يخدم قضايا الأمةِ، بل يخدم قضايا أعداء الأمة.

متابعة الإعلام لا تخدم قضايا الأمة بل تخدم قضايا أعداء الأمة! لأن هؤلاء يصفوننا بصورة تجعلنا نعيش كما يريدون، تصبح آمالنا هي التي يريدونها هم.

فالتأثر بذلك والركونُ إلى الإعلام، والإقبالُ عليه، وكأنه منقولٌ بالتواتر، أو بنقلِ العدلِ الثقةِ المُصَدَّقِ عن مثله. وهذا ليس من منهج العقلاء ولا من طريق الفضلاء.

يعني يقول جاء في التلفزيون أمس هذا الخبر، ما معنى جاء في الأخبار؟ الآن الكلام كله وسائل الضغط، وأنتم تعرفون وسائل الإعلام هذه، أنت تكاد تجزم أنهم يمثّلون ويكذبون، يأخذون من الأحداث ما يريدون وليس فقط في الأحداث إنهم حتى يتلاعبون في العقائد مما يذكر الجزيرة الوثائقية، تأتي بأفلام وثائقية من بينها هذه الأفلام (الحج إلى قبر هود في اليمن!)، وطقوس الشرك عنده، على أنهم يتقابلون ويصورون المنطقة عنده، (وهنا وقفة في يوم تسعة شعبان، ويوم عشرة شعبان العيد، وهنا الأسواق تنتعش، وهذا القبر ممتد من داخل المسجد إلى آخره، والحسين في مصر والحسين في العراق!).

برامج مكثفة يغفل عنها، المستمع الكريم أو المتفرج الكريم يتفرج ويستوعب هذا كله على أنه دين وتراث! وهكذا يقولون نبذل جهود أن نحافظ عليه ونطالب الدول أن تحميه وهذا يستسلم.

مثلًا يرون مدائن صالح محاط عليها وممنوع الدخول فيها، يقولون أماكن أثرية والمفروض نتمشى فيها! والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأَصْحَابِ الْحِجْرِ: ((لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ!))[1] فالإعلام يُفسد علينا تطوّر الواقع الحقيقي، ويفسد علينا

[1] "صحيح مسلم" (كتاب الزهد والرقائق، باب لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ٧٦٥٥)

عقائدنا، لابد أن تعرفوا الخطر الحقيقي للإعلام، لا تستسلموا لتوصيفه للأحداث توصيفًا باطلًا، والآن من السهل جدًا التلاعب في الوسائل الحديثة.

في أحد اللقطات للروافض يريدون أن يقولوا أن أهل السنة ضربوهم بكذا وكذا، فالمذيع يتكلم وصوت الطلق ظاهر، ثم يشير للذي أمامه من أسفل أنه خفض الصوت! فَبْرَكة بسيطة جدا.

ومعلوم أن منهج هذه البلاد هو منهج أهل السنة والجماعة وهذا مادرجت عليه الدعوة التجديدية دعوةُ الإمام المصلح محمد بنِ عبدِ الوهَّابِ - رحمه الله ورحم مَن آواه ومَن نصره وأيده -، وهذه الدعوة لم تقم من فراغٍ، وإنما أُسست على الفِقهِ في الكتاب والسنة.

فالفِقْهُ في هذه الدعوةِ أن يؤخَذَ بكلامِ علمائِها ومنهجهم، وهم متواصلون - ولله الحمد - من وقت الإمام المجدد إلى هذا الوقتِ، نَقَلَهُ الحاضرُ من الماضي بفِقْهٍ وبصيرةٍ.

فلا تتأثر بالإعلام، نحن منهجنا واضح ليس على فراغ، لما يطعنون هنا أو يطعنون هنا، لا تستقبل طعناتهم على أنها طعنًا في المنهج.

كأن السمة الثامنة باختصار: أن الإعلام المزيف يصنع أفكارًا عدائية للعقيدة التي نحملها، يُشعر الناس أننا بمتابعتنا للسنة قد تخلينا عن واجبنا اتجاه إخواننا بالنصرة، استفزاز المشاعر الذي يتلاعب به الإعلام يجعل التهمة للمنهج، يصير المنهج هو المتهم.

السمة التاسعة:
الالتزام بأمر الإمام في الدعوة إلى الجهاد.

يعني من المسائل التي دائمًا تأتي في وقت الخروج ووقت الثورات: الدعوة إلى الجهاد، والدعوة إلى الجهاد هذا دين يدين الإنسان به، كالصلاة والصيام والحج، لابد له من تحقيق شروط، لابد أن يكون له شروط ليكون الدعوة صحيحة، أنصحكم أن تدرسوا كتاب الجهاد في صحيح البخاري.

إن الجهادَ في سبيل الله - جلّ وعلا - لتكون كلمةُ الله هي العليا أمرٌ نافذ شرعي.
دلَّتْ عليه النصوصُ الكثيرةُ من الكتابِ والسنةِ وأجمعَ عليه سلفُ الأمة، ودُوِّنَ في كتب العقائدِ.

نعم نحن لا ننكر هذا الأمر ولا نتهرب منه، الجهاد أمر أمرنا به شرعًا ليس فيه تلاعب.

لكنَّ الجهادَ كغيرِه من مسائلِ هذا الدينِ، له شروطٌ، وأركانٌ، وواجباتٌ، وله أحكام تفصيلية فُصِّلَتْ في كتبِ الجهادِ وأبوابِه، من كُتُبِ الفِقْهِ، أو الكتبِ المستقلةِ.

إذن الجهاد من مسائل الدين له شروط وأركان وواجبات وله أحكام تفصيلية.

فالأمر بالصلاةِ والزكاةِ والصيامِ والحجِ وسائر أحكام الشريعة لا يعني أنه ليس لها شروط.

لما أمرنا بالجهاد كما أمرنا بالصلاة والصوم والزكاة، الأمر لا يعني أنك تفعل هذه الأفعال كما تريد أنت! افعلها على شروطها وواجبتها وإلا لا يكون لها هذا الاسم إذا لم تأتِ بحقوقه، يعني من يصلي على غير القبلة، أو يصلي بدون وضوء، أو يصلي وما استكمل الركعات، هذا نقول عنه صلى؟ الذي جاهد بدون أن يأتي بالشروط هل أسميه مجاهدًا؟ لا، لو كانت هذه القاعدة ظاهرة لن يتهور الشباب هذا التهور الذي هم فيه.

وإذا كان الأمرُ كذلك فإنَّ أولَ أحكامِ الجهادِ وأولَ شروطِهِ: أن الذي يدعو إلى الجهاد هو وليُّ الأمرِ.

الذي يدعو إلى الجهاد لازم يكون ولي أمر المسلمين.

وليس لأحدٍ من الناس أن يفتئتوا على ولي الأمر بالدعوة إلى الجهاد.
وهذا ظاهر بدليله من القرآن والسنة، ومن إجماع أهل السنة والجماعة، ومن كلام أئمة الدعوة رحمهم الله تعالى. وإجماعُ أهلِ السنة والجماعة على أن الجهادَ ماضٍ مع كل إمام برّ أو فاجر.
وقولهم: " مع كلِّ إمام " يعني أنه لا بدّ للجهاد من رايةٍ تحت إمامٍ يُسْمَعُ له ويطاعُ، ويكونُ له الأمرُ.

يفتئتوا أي يتعدَّوا. يعني لابد للجهاد من راية تحت إمامٍ يُسْمَعُ له ويطاعُ، ويكونُ له الأمرُ، يعني لا يهمني الإمام هذا بر أو فاجر، مستقيم أو غير مستقيم، لكن لازم يكون لي إمام في الجهاد، يدعو إلى الجهاد، علي طاعته في الجهاد، ما دعا للجهاد ما تحقق لي الركن الذي عليه يبنى الجهاد.

عندي مسألتان :

المسألة الأولى: أن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، الجهاد معتبر عند المسلمين، الجهاد لن نهرب منه، الجهاد مطلب شرعي، هذا كله واضح، لكن كيف يكون جهاد بدون ولي الأمر؟! لابد أن يكون له أركان وشروط، وكيف نقول في وقت الفتنة احمد ذكرك، لأننا نقول هذه الواقعة التي أنت فيها واقعة تدخلك في الجهاد لأحد سببين: إما لأنه لا يوجد ولي أمر دعا إلى الجهاد، من ثم لم يتحقق هذا الشرط.

أو الأمر الثاني: هذا الموقف ليس موقف جهاد عدو، إنما موقف فتنة داخلية، وإذا صارت فتنة داخلية لا يمكن أن أقول أن هذا جهاد. لابد للجهاد من راية تحت إمامٍ يُسْمَعُ له ويطاعُ، ويكونُ له الأمر، وهذا ليس رأيًا، هذه نصوص شرعية تحكم علينا.

ومما يدلُّ على ذلك: قولُ جَمْعٍ من مشايخ الدعوة في نصيحةٍ عامةٍ وَجَّهُوهَا إلى الناسِ في وقت يُشَابِهُ هذا الوقت.
منهم الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ اللطيفِ بنِ عبدِ الرحمنِ، والشيخُ سعدُ بنُ حمدِ بنِ عتيقٍ، والشيخُ عبدُ الله العنقريُّ، والشيخُ عمرُ بنُ سليمٍ، والشيخُ محمدُ بنُ إبراهيمَ.

ذكروا في نصيحتهم بعد سياقِ النصوصِ الدالَّةِ على وجوبِ السمعِ والطاعةِ لولي الأمر، قالوا ما نصهُ: " وإذا فُهم ما تقدمَ من النصوصِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ وكلامِ العلماءِ المحققينَ في وجوبِ السمعِ والطاعةِ لوليّ الأمرِ، وتحريمِ منازَعته، والخروجِ عليه، أنّ المصالحَ الدينيةَ والدنيويةَ لا انتظامَ لها إلا بالإمامةِ والجماعةِ، تبينّ أنّ الخروجَ عن طاعةِ وليِّ الأمرِ والافتئاتِ عليه بغزوٍ، أو بغيره معصية ومُشاقَّة لله ورسوله، ومخالفة لما عليهِ أهلُ السنةِ والجماعةِ"[1].

وهذا منهج متكاملٌ يجب علينا أن نرعاه؛ لأنَّ أهلَ العلمِ وولاةَ الأمرِ أدرى بما يكونُ بعدَ الإذنِ بالجهاد.

ليس الأمرُ أن تقولَ: نعمْ، ولكنْ ما الذي يكون بعده؟

وليس الأمرُ أن تقولَ: لا، ولكن ما الذي يكون بعده؟

يعني ليس الأمر فقط أن أقول أجاهد أو لا أجاهد، الأمر ماذا يكون بعد الجهاد ؟ أين العدة والعتاد؟ وماهي الخطة؟ وأين الذي يقود ؟ وكيف يعودون هؤلاء؟ وإلى من يعودون؟ ومن يأمرون؟ تفاصيل كثيرة علينا أن نتعلمها ونثق أن الله ما أمر إلا بما يصلح المسلمين، لازم يصير عندنا ثقة أن الدين متكامل ليست مجرد أهواء وشهوات، حتى القتال أحيانًا يصبح شهوة، التكفيري هذا يكون عنده شهوة القتل، فالمطلوب أن تمتثل بأمر الشريعة.

وهذا إنما يُراعى فيه درء المفاسد، وتحصيل المصالح. كما جاء في الشريعة.

ليس المقصود أن أبقى في رغد من العيش، ليس المقصود أن لا أتعب نفسي، لو المسألة بهذه الصورة فكل هؤلاء الثائرين يفتح لهم الطريق ويقول لهم اذهبوا ماذا سيخسر؟! البلاد والعباد يرتاحون منكم! لكن في الحقيقة ليست هكذا، الحقيقة حفاظًا على هؤلاء، هؤلاء تُعلَّق دماؤهم في عنق ولي الأمر إذا سمح لهم بأن يسيروا في الطريق الذي لم يأمر الشرع بها، ولي الأمر مأمور بالمحافظة واسْتُرعي رعيته، وولي الأمر الديني كذلك، فالاثنين عليهم أن يعتنوا بالرعية، ويأذنوا وقت ما يكون الإذن ينفع المسلمين، ولا يأذنوا وقت ما يكون الإذن لا ينفع المؤمنين، وهناك فرق بين قتال الدفع -لما الإنسان يريد أن يدفع-، أو أن يخرج لقتال المسلمين وإلى نشر الدين، على حسب الوضع والحال.

السمة العاشرة

سلامة ألسنتنا من الطعن في الصحابة رضي الله عنهم.

إن من عقيدتنا سلامةُ ألسنتنا من النيلِ في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأن لا يكونَ في قلوبنا غلٌّ للذين آمنوا.

[1] " الدرر السنية " (٧ / ٢٩١) .

قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفقَ مثلَ أُحد ذهبا ما بَلَغَ مُدَّ أحدِهِمْ ولا نَصِيفَه))[1].

قال أبو محمد البَرْبَهاريُّ رحمه الله: " إذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه صاحب هوى،

من يطعن في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم يُعلم أنه صاحب هوى، لما ننتهي من النصوص سنذكر ما علاقة الصحابة بالفتنة.

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا ذكِرَ أصحابي فأمسكوا))[2]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ذروا أصحابي، ولا تقولوا فيهم إلا خيرًا))[3] ولا تُحَدِّثْ بشيء من زللهم ولا خَبَرِهم وما غاب عنك علمه، ولا تسمعْه من أحدٍ يُحَدِّثُ به، فإنه لا يَسْلَمُ قلبك إن سمعته...".

ثم قال -رحمه الله-: "ولا تَذْكُرْ أحدا من أمهات المسلمين إلا بخير"[4]

"ولا تُحَدِّثْ بشيء من زللهم ولا خَبَرِهم وما غاب عنك علمه، ولا تسمعْه من أحدٍ يُحَدِّثُ به": يعني أنت لا تتحدث ولا تسمع من أحد يتحدث.

ما علاقة الصحابة وموقفنا منهم بالفتن التي يدخل فيها الناس؟ لما يأتي أحد يقول لك أنتم تمنعوننا من الخروج لكن الحسين خرج؟! نقول لا تتكلم في الصحابة ولا تحدّث بشيء من زللهم، ولا تسمع من يحدّثك فإنه لا يسلم قلبك، وإذا طعنت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنت صاحب هوى.

فلا يجعلوا الأحداث التي لا يفهمون كيف حدثت ولا يعرفون تفاصيلها ولا عندهم ملابساتها ولا الدوافع لها، وإنما نقلت أسانيد صحّ بعضها وهو قليل جدا، والنوع الثاني أخطأ في فهمه، والنوع الثالث أكاذيب تاريخية، فإذن سترى غالب ما نُقل فيما شجر بين الصحابة إنما هو أكاذيب، ثم هناك نوع حصل خطأ في فهمه لما نقل، والنوع الثالث وهو قليل وأصحابه يُعذرون لأنهم بشر وقع بينهم خلاف، فإذن لا تتكلم في الصحابة ولا تجعلهم شاهد على شيء أنت لا تعرفه، ولا تستدلّ بأفعالهم على تسهيل

---

[1] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب فضائل أصحاب النبي) (٤ / ١٩٥) . و"مسلم" في "صحيحه" في (كتاب فضائل الصحابة – باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم) من حديث أبي سعيد الخدري(٤ / ١٩٦٧) واللفظ لمسلم .

[2] ذُكر في " مجمع الزوائد " (٧ /٢٠٢) من حديث " عبد الله بن مسعود " رضي عنه . وفيه : ورواه " الطبراني " . . .

[3] أورده " ابن عساكر " في " تاريخ دمشق " .

[4] من " طبقات الحنابلة " (٢ /٣٥ ، ٣٦) .

الفتنة عليك، لا تسهل على نفسك الفتنة بأن تقول الصحابة فعلوا، يعني نحن نجعل الكلام عن الصحابة وفيما شجر بينهم مثل المحرمات، يقرؤه العالم الفطن، يقرأ ما حدث بين الصحابة بصورة سليمة خالية من الأهواء، يحرر الحقائق التي حصلت.

ولا بد أن نقرأَ التاريخ بِرَوِيّة وأن ننظرَ في مبادئ الأمور، وكيف صارت إلى ما انتهت إليه.

ولهذا لابد أن نملي أبناءنا عن حكم في الكلام بين ما شجر بين الصحابة، وأن لايجعل الناس ماشجر بين الصحابة وسيلة إليهم.

أحيانًا يسألون: ولي الأمر سمح أن نجاهد بأموالنا؟ مادام سمح، فيجوز، إذا لم يسمح، فلا.

الخاتمة

إن الاتفاقَ على اجتماع الكلمة يحصلُ به من الاجتماع وتحصيل الدينِ، وردِّ الشرِّ ما لا يحصل بالافتراق.

ونحن كنا قد أشبعنا هذا في نقاش رسالة الشيخ السعدي.

وإنَّ تركَ ما يُرِيبُ الإنسانَ إلى ما لا يريبُه أصل أصيل كما في واحدٍ من الأحاديث التي عليها مدارُ الدينِ وهو: ((دع مَا يُرِيبك إِلَى ما لاَ يُرِيبك))[1].

إذًا عندي أمران من الأصول:

الأول: الاجتماع .

الثاني: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

الآن أنا خطيب، أنا أعامل الناس، أنا أرسل رسائل للناس، أول شيء اجتماع الكلمة وتحصيل الدين مهم، وردّ الافتراق أمر مهمّ، هذا أولًا. الشيء الثاني دع ما يريبك الى ما لا يريبك.

وعلينا أن نلتزم بتقوى الله جل وعلا في كل حالٍ، وأن نحرصَ على التوازنِ والحكمةِ وموافقةِ الشرعِ.

هذه ثلاثة أمور: نتقي، نحرص على التوازن، والحكمة، وهذا كله لا يكون إلا بموافقة الشرع، لا تصلك رسالة إثارة تنقلها، لا تصلك رسالة إثارة فتنفعل معها بمشاعرك ولا تعرف ما الحكم الشرعي في هذه الإثارة، ولا تعرف ما هو دورنا الحقيقي لهذا الموقف، مثلا (الناس يقتلون في الشارع وأنتم جالسون في بيوتكم! إخوانكم في كذا وكذا يحصل لهم كذا وأنتم تجلسون هنا وتأكلون وتشربون!) وهل أنت

---

[1] أخرجه " الترمذي " في " سننه " في (كتاب صفة القيامة) وقال : حسن صحيح برقم (٢٥١٨) . و " النسائي " في " سننه " في (كتاب الأشربة – باب الحث على ترك الشبهات) (٨ / ٣٢٩) . من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما .

تشاركنا في الأكل والشرب؟ ثانيا: ليس هذا هو الطريق الذي نعامل به المسلمين، أعامل المسلمين بأن أدلهم كيف يفعلون من أجل أن يساعدو إخوانهم، ما أشعرهم أنكم لستم بشيء، وكما مر معنا أمس أن هناك من حرض المسلمين لدرجة أنه كان يقول: أول خطوة لتحرير القدس هي أن تسقط العاصمة كذا من عواصم العالم الإسلامي! وهي العاصمة الآمنة المستقر أهلها، يعني إذا قتلتم ولي الأمر في هذا المكان هذا سيفتح لكم القدس! ستأخذوا بترولهم لتفتحوا القدس. طبعًا هذا شيء عجيب.

مثلًا: أحدهم مقيم في بريطانيا ويقول للناس اخرجوا لمكان كذا وكذا وهو جالس هناك، وتصرف عليه بريطانيا! تكلمني عن الكفار وإخراجهم من جزيرة العرب وأنت جالس عند الكفار يصرفون عليك؟! تلاعب بعقول الناس، المشكلة الناس الذين يتداولون هذا الأمر، هو يرمي بسهم والباقي يصبحون في مقتل ويحولون هذا السهم على بلاد المسلمين.

المقصود أن نحرص على التقوى والتوازن والحكمة، وهذا كله لا يكون إلا بموافقة الشرع، نكون حكماء نضع الأمور في مواطنها، نتقي الله، نخاف من الله، نخاف أن يقول الشباب كلمات تجعلهم وهم لا يفكرون في حيرة من شأنهم.

وفي أحداث ١٤٢٣هـ في المملكة التي حصلت فيها التفجيرات أول ما حصلت، كان يتكلم أحد طلبة العلم الكبار الذي خرج طلابه في التفجيرات، فيقول أنا أجبتهم على مجموعة أسئلة فهم جمعوا في عقلهم هذا المنهج، يقول لما رأيت آثار التفجير ووقوع الدماء والأشلاء تصورت ما بُعد كلامي بالنسبة لهم!

ما كان يتصور أن هكذا سيكون، فلا بد أن يكون هناك خوف من الله، هؤلاء أنت ترشدهم تقول لهم كلمة تصبح لهم بمثابة الدين، يخرجون عازمين، فلا تستهن بمكانك لهم، ولا تستهن بحماسهم غير المنضبط، لازم نخاف الله، لازم يكون عندنا من التوازن والحكمة الشيء الكثير، وكما اتفقنا أن في وقت الفتنة النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا ماذا نفعل ((عِبَادَةٌ فِي الْهَرْجِ، أَوِ الْفِتْنَةِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ))[1] ، الناس ما هم محتاجين منا أن نُسيس لهم حياتهم، الناس في النهاية سيدخلون قبورهم وحدهم الذي يؤنسهم في قبورهم هو دورنا في أن نعلمهم. القصة ليست الدنيا.

---

[1] المعجم الكبير للطبراني، قال الألباني: صحيح.

الخوف من الله، التقوى، حمل هم الكلام، الدين هو المهم ، الله عزّ وجلّ ناصر دينه لو فعلنا مثل ما أمرنا الله عزّ وجلّ كما أمر بني اسرائيل وهم في مصر توكلوا ادعوا ربنا لا تجعلنا فتنة إلى أن يخرجنا الله من الأزمة، لكن لا نسير على منهج مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

على كل حال لما تتأتي الأزمات والفتن تطيش العقول، الحلم قليل في هذه المواقف، كما اتفقنا أمس على قاعدة: "لا للسياسة في أماكن العلم، لا للسياسة في أماكن الدين"، أنا دوري معك أن أعلمك دينك، يقول لك (أنت جبان، أنت ما تريد أن تتكلم، أنت تفصل نفسك عن الواقع..)، كما تريد، أنت تعال تعلم الدين، وخذ ما تريده من غيري، ليس عندي إلا قال الله وقال رسوله وقال الصحابة أولي العرفان. أعلمه عن الله وأسمائه وصفاته، وعندما يقول: هذا سيأخذ رزقي، أقول له: إن الله هو الرزاق، لما يقول: أنا أخاف من هذا، نقول له: لا تخف من غير الله، إلى أن يتكون جيل عقيدته سليمة، فالله عزّ وجلّ سيكشف عنا الغمة، المطر من السماء، والنبت في الأرض بإذن الله، ولا يموت الناس جياعًا، إلا أن الناس يوهمون أنفسهم أن هناك من البشر من يحكم على أرزاقهم ويمنعهم، وهذه بلاءات إذا ما كانت في الخارج تكون في الداخل.

وأن نبرئ ذمتنا في موافقةِ منهجِ السلفِ الصالحِ.

براءة الذمة هنا أن توافق السلف الصالح.

ولا تتأثَّرْ فيما إذا لم يوافِقْكَ الكثيرونَ ممن يريدون الحماس

لا تتأثر، ابذل جهدك، ترى الأزمة خطيرة والحمد لله أننا عُلمنا منهج أهل السنة قبل أن ندخل الفتنة، وهذا والله كلما نتذكره نثني على الله ثناءً عظيمًا أن الله عرفنا ما هو الصواب قبل أن ندخل الفتنة، هذه من عطايا الله، أننا ما كنا نتخبط مع المتخبطين، لكن فضل الله عزّ وجلّ علينا.

ولكن لا بدَّ أن تقولَ ما عليه منهجُ الأئمةِ والسلفِ الصالحِ؛ لأنَّ في الكتاب والسنة وهديِ السلف الصالح نجاةً عند حلول الفتن.

لازم نثق في هذه القضية، لن تنجو إلا إذا سرت على منهج السلف .

واللهَ جل وعلا أسألُ أن يوفِّقَ الجميعَ إلى ما فيه رضاه، وأن يُخَلِّصَ قلوبَنا من الغشِّ والغلّ، وأن يجعلنا ممن يحقق الموالاةَ للمؤمنين، والمعاداةَ للكافرين، وأن يجعلنا ممن رضي عنه، وأرضى عنه.

المشكلة كلها دائرة حول ماذا؟ هل نحن نوالي المؤمنين؟ هل نخذل المؤمنين؟ هذا أكثر ما يضغط عليه، يقول أنت تارك المؤمنين يتعذبون وأنت نائم؟! نقول الموالاة للمؤمنين لها أشكال، ومن أعظمها

موالاة: أن تطلب الله أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يثبتهم على الدين، وأن يرزقهم خاتمة حسنة؛ لأن الدنيا ليست بشيء، لأن الله عزّ وجلّ لما أخبرنا في سورة البروج عن أولئك القوم الذين فتنوا وألقوا في النار ما أخبرنا عنهم أنهم نجوا، إنما أخبرنا بالفتنة التي وقعوا فيها، وكيف أن كانت نهايتها نهاية الفتنة التي وقعوا فيها أنهم ألقوهم في النار، العزيز الحميد سبحانه وتعالى قادر على إنجائهم، لكن كان قَدَرهم أن ينصروا الدين بموقفهم، هذا الذي صار أن دخلوا النار هذا نصرة للدين، ليس شرطًا أن نصرة الدين كما تتصوره أنت صورة واحدة!

ثم من قال إن نصرة الدين لازم تكون في حياتك؟! نصرة الدين تكون بالاستقامة على الدين.

ولذلك نختم لقاءنا بآيات عظيمة من سورة يونس تُبيّن لنا تمامًا أننا لما نرتبط بالنصرة نرتبط ارتباطًا صحيحًا كما وصف الله عزّ وجلّ، لا ترتبط بالنصرة على هواك.

سنقرأ خطابًا موجهًا للنبي صلى الله عليه وسلم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ يونس:٤٦-٥٢.

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ يعني بالعذاب.

﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ يعني لا ترى نصرة الدين.

﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ يعني الدنيا ليست مكانًا نكتفي فيه في عقاب المذنبين، ممكن يكون على المذنبين عقاب في الدنيا، وممكن لا نرى عقابهم، إذا كان هذا الكلام يخاطَب به النبي الذي اتّهم أنه سحر واتهم واتهم ... وهو منتظر من وعد الله أن ينصره في الدنيا، لكن هنا الأمر

واضح ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ يعني أن الله عزّ وجلّ سيجازيهم على ما فعلوا.

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾، يعني أنت تقول سينتصر هذا المنهج وستنكشف الغمة وسيظهر الحق وهم يقولون ﴿ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ، الله يجيب: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

الإجابة مركبة من ثلاثة جمل:

هم يقولون ﴿ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ متى وعدتم أن لو سرنا على نهج السنة سننتصر؟

الجواب الأول: ﴿ لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ أنا أبلغكم ما أتى على منهج القرآن والسنة ولا أعدكم بأي شيء، إنما أقول لكم ما قال الله وقال رسوله، أنا لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا.

الجواب الثاني: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ يعني لا تستعجلوا، كل شيء له أجله المضروب، وأجله المضروب معناه حبس عنكم العذاب، حبس عنكم العقوبة، أو حبس عنا النصر، أو لم ننصر بعد لأن هناك أجل لانتهاء هذه الأحداث، ضرب الله لكل شيء أجل في كتابه، وستمر الأحداث والله عزّ وجلّ دبّر الشؤون ثم سترى كيف سينتصر السنة وأهلها.

الجواب الثالث: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ إذا أتاكم العقاب وأنتم لم تنتفعوا، ماذا ستنتفعون من تعجيل العذاب عليكم؟ من تعجيل الهزيمة؟

مثلًا: تأتي إلى أحد يتشمت في أهل السنة، أو تأتي إلى أحد قد يرى أن عذاب أهل السنة في كل مكان دليل على أنهم ليسوا على المنهج الصحيح، وأنت على يقين أن هذا المنهج الصحيح، متى هذا الوعد؟

الجواب أنا لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا، لكل أمة أجل، ثم قل لي عندما ينزل عليك العذاب الذي وعد الله ماذا يفيدك بالكلام؟! ماذا يفيدك هذا الكلام الذي تستهين به؟! فلا يستدل بتأخير النصرة على بطلان الوعد، انتفع بما رأيت من شواهد الحق واستقم ولا تستعجل العقوبات، فنحن على ثقة أن الله سينصر أهل الإيمان ثقة يقينية، لكن في الوقت الذي سيختاره الله وأن الله عزّ وجلّ جعل

لكل شيء أجلًا. أنت تصبح أهلًا للوعد لو سرت على الطريق المستقيم، سر على الطريق المستقيم ولا تبالي بمن يستهزأ بك.

وهكذا نتعامل مع الفتنة من نصوص الكتاب، تعاملوا مع الفتنة من نصوص الكتاب، تعاملوا مع المستهزئين من نصوص الكتاب، لا يستفزك أهل الحماسة، قلبك لابد أن يكون مليئًا ثقة أن وعد الله سيكون، لكن متى سيكون؟ الله أعلم، أنا لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعا، أنا أعلم أن الله وعد وأنه لن يخلف وعده.

نحن أُمرنا في قوله ((تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ)) [1]، أُمرنا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي)) أمرنا بهذا كله وغيره كثير[2] مما يجعل منهج أهل السنة والجماعة في حال استقامة، وهذه الاستقامة تأتي بخير.

لكن فكروا في الانقلابات وفي الخروج، ما أتت بخير قط، إلا دماء واضطرابات وذهاب بالاقتصاد وذهاب بالأمن وفقدان للشباب وفقدان لثغرات المسلمين، وإذا كان عندي أول ٥٠ % من الأمن أو ٥٠ % من الاستطاعة ذهبت ٥٠% !

المقصود أن أهل منهج أهل السنة هو منهج العدل الصواب الذي أسأل الله عزّ وجلّ أن يسددنا وأن نكون أتقياء ونسير عليه رغم كل الصعوبات التي يواجهها الإنسان والإثارات.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن حُفظوا في الفتن واستقاموا وتقربوا إلى الله بالصبر على منهج أهل السنة والجماعة؛ والحقيقة أن المسألة تحتاج إلى صبر.

---

[1] "صحيح مسلم" (كتاب الإمارة، باب الأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وَتَحْذِيرِ الدُّعَاةِ إِلَى الْكُفْرِ، ٤٨٩١)

[2] "صحيح البخاري" (كتاب الفتن، باب قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا..،٧٠٥٧).